عمالقة ورواد

مجدى سلامة





عمالقة ورواد



تأليف

ى سلامة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

الاخراج الفنى :

ســهير معطى

تصميم الغلاف :

سعد الدين الشريف

الاهـــداء

الى الرواد ...

في كل مجال .. و .. في كل مكان

الأحيـاء منهم والأمـوات

أهـدى كتـابى

((عمالقة و رواد))

المؤلف



مقدمـــة

شخصيات هذا الكتاب « عمالقة و رواد » ترجمت حياتهم للكثير من لغات العـالم لمـا تحتويه من كفاح وقدرة على الاحتمال واصرار على العطـاء والنجاح .

لقد سبق لى أن قدمت بعض هؤلاء المشاهير فى حوار خيالى بالبرامج الثقافية باذاعة لندن والبعض الآخر فى لقاء خيـالى عن طريق النشر بالصحف الاقليمية . والشخصيات الثمانية هى :

● **روبنز** ... الرسام العالمى الذى كان أقدر الدبلوماسيين فى زمانه . تفاهم بسبعة لغات .. رسم أكثر من سبعة الاف لوحة . رغم مضى أربعة قرون على مولده مازالت لوحاته فى المعارض العالمية تنطق بالحيوية والعظمة .

● **جول فيرن** ... مؤلف قصص (عشرون ألف فرسـخ تحت المـاء) التى صـــور فيها الغواصـــة قبـل أن تخترع

و (ثمانون يوما حول العالم) التى وصف فيها الطائرات قبل أن تظهر للوجود و (رحلة من الأرض الى القمر) التى كتبها بخيال الأديب عام ١٨٦٥ وحققها العلم فى علم ١٩٦٩ عندما هبط على سطح القمر أول رائدين من البشر خلال رحلة « أبوللو » .

- **اليزابيث بلاكول** ... النموذج المشرف للمرأة . أول فتاة طلبت باصرار أن تلتحق بكلية الطب أسوة بالذكور من الطلبة فحق لها أن تكون أول طبيبة فى أمريكا بل فى العالم .

- **فكتور هوجو** ... الأديب المرموق .. الذى ترك تراثا لفرنسا والعالم أجمع سوف تتناقله الأجيال . لقد قدم لنا الاجابة عن الكثير من الاسئلة .. كيف ظلت صداقته بالممثلة « جوليت دروبيه » أكثر من خمسين عاما ؟ .. كيف كانت علاقته بالناقد « سانت بيف » .. ما هى علاقته بالأرواح ؟ .

- **بتهوفن** ... الموسيقار الذى كان شقيا فى طفولته .. فى حبه .. فى حياته .. ذاق مرارة التشرد ومع ذلك كان شامخا يتسم بالكبرياء عطوفا لا يهمه المال .. أقام الدنيا وأقعدها بموسيقاه التى كانت تضم الى العمق ذلك الاحساس بالكمال فى بنائها جميعا .. كان أول من ادخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية .. وأول من وضع الموسيقى الرومانسية .. أبدع وأروع موسيقاه وأعظمها وضعها وهو أصم . فقد كان يسمع بعقله .

- **مارى كورى** ... العالمة التى اكتشفت الراديوم وكتبت

سيرتها بكل اللغات . تناولت حياتها الأقلام والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية والصحافة فى كافة ارجاء العالم .. لقد كانت الوحيدة من النساء والرجال التى حصلت على جائزة نوبل مرتين .

● **رفاعة الطهطاوى** ... الأزهرى المعمم الذى ذهب الى باريس اماما للبعثة فكان أكثر من فيها استفادة وحين عاد الى مصر كان أكثرهم عطاء .. لقد كان مصدر اشعاع بترجماته المتنوعة ومؤلفاته الكثيرة المفيدة .. لقد احترم العقل كأداة لحل مشاكل المجتمع .. أول من نادى بتعليم المرأة .. كتب عن حقوق العمال وثقافة الأديب وصلة المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه .. عمل بالصحافة فجدد وطور .. لقد كان شخصية صقلتها الثقافة ولم تثقلها .

● **البارون فان** ... أبرز سكرتير ذكره التاريخ ممن تعاقبوا على خدمة نابليون .. كان يتميز بصفات وقدرات جعلته سكرتيرا خبيرا قديرا .. لقد ترك لنا مذكرات قيمة ممتعة تكشف لنا الكثير عن شخصية نابليون التى لايعرفها سوى المقربين منه والعاملين معه .

هذه الشخصيات كان العطاء سبيلها الى التفوق ، فكتب لها الخلود .. وأصبح أصحابها شموعا لا تنطفىء . لقد تغلغلت فى أعماق كل شخصية للوقوف على سر تفوقها محاولا تقديم المعلومة الجادة والمفيدة عنها ... المواقف الطريفة والدروس

المستفادة منها حتى يمكن للقارىء أن يتابعها بشغف ولهفة وكى تكون مرشـــدا أمينا صادقا للأجيال تترسم خطاها .

عزيزى القارىء : اننى أثق بأنك لن تندم على الوقت الذى ستقضيه فى صحبة هـذا الكتاب « عباقرة و رواد » .. فسوف تستفيد منه ـ باذن الله ـ قارئا .. أو باحثـا .. أو محبـا للتزود بالمعرفـة .

والله ولى التوفيق ؟

مجـدى سـلامة

بيتر بول روبنز

١٥٧٧ – ١٦٤٠

الرسام الذى جمع بين الدبلوماسية والفن

كانت رسومه تحف تنضح بعصـارة الحياة .. اثرى العالم بلوحاته .. اتسم باخلاقياته فى عصر تميز بالخلاعة والفجور .. لم يفسده مجد النجـاح ولم يصبه الغرور .. رغم مضى اربعة قرون او يزيد على مولده فانهم يقيمون له اليوم المعارض فى اعرق المتاحف العالميـة تاكيدا لعظمته وايمـانا بنبوغه .. كان من الضرورى أن اصطحبـك معى الى ((انتويرب)) التى يؤكد تمثاله القابع امام الكاتدرائية ان اسمه سيظل فى كل ركن من تلك البلدة ... سيظل فى كل ما يحوى جمال ... فالجمـال الذى خلقه قد اغنى العـالم ومنحنا جميعا تراثا من الحيوية والروعة الخالدة .



● سألته عن مولده فاجاب :

ـــ ولدت عام ١٥٧٧ فى سيجن بالمانيا حيث كان أبى يعيش فى المنفى . بعد وفاة أبى عادت الأسرة الى انتويرب . كنت مولعا بالرسم وتتلمذت على يدى أستاذين هما « أدم فان نورث » وكان يميل الى الأخذ بأساليب الفن الايطالى والثانى « أوتو فان فين » الذى لم يقبل غير تراث أسلافه من فنانى الفلاندر . غير أننى تأثرت كثيرا بأستاذى الأول ادم . وقد أحست والدتى بذلك فجمعت لى بعض المال واشترت لى حصانا ودعتنى أنطلق الى ايطاليا .

● حيث التحقت ببلاط دوق مانتوا .

ـــ تقصد الدوق فنشنزو جونزاجا .. ولكن هل تعرف كيف التحقت ببلاط هذا الدوق ؟ .. لقد كنت أنزل فى فندق صغير فى مدينة البندقية وجلست فى الفناء أرسم من الذاكرة نسخة من لوحة شهيرة عندما هتف برجل غريب كان يقف خلفى قائلا : رائع انها أجمل من الأصل وسوف أصطحبك الى صديقى دوق مانتوا حيث من المؤكد ستجد حظك . وهكذا دفعتنى الصدفة المحضة الى دخول حاشية الدوق حيث احترفت الرسم فى البلاط . فكنت أصنع نسخا من اللوحات الشهيرة وأرسم وجوها

لأسرة الدوق . لقد أتاحت لى الاقامة فى ايطـاليا زيارة روما ، وتأثرت بأعمال باسانو وفيرونيز ثم بأعمال كارافاجيو الفنـان الثورى . الا أننى بعد ثمانية أعوام عدت الى انفرس وكان أسمى قد بدأ فى الذيوع .

● **لذلك اعجب الارشيدوق البريشت والطفلة ايزابيلا بك وعيناك رساما خاصا للبلاط .**

ـــ حقا .. وبحكم انهما حاكما هولندا آنذاك فقد طلبت الى رسم لوحات لبلدية المدينة فرسمت لوحة « عبادة المـاجى » بالاضافة الى ٢٨ صـورة بالأحجـام الطبيعية وبعد ذلك بفترة قصيرة رسمت لكاتدرائية انتويرب لوحة « النزول من الصليب » التى يقولون عنها انها احدى تحفى الفنية الكبرى .

● **متى تزوجت ؟**

ـــ فى سن الثانية والثلاثين . تزوجت من «ايزابيلا براندت» فتاة جميلة ابنة أحد أعيان المدينـة وكانت تصغرنى بأربعة عشر عاما . أنجبت لى ثلاثة أبناء .

● **يقال انك كنت زوجا مثاليا .**

ـــ نعم فقد كنت سعيدا جدا فى الزواج . مخلصـا للغاية لزوجتى .. لم افكر مطلقا فى خيانتها فى عصر كان يتميز بالخـلاعة والفجور على نطاق واسع .

● **الم يكن اخلاصك هذا رد فعل طبيعى للتجربة التى مرت بوالدك ((بول)) ؟**

ـــ قد يكون اتهام والدى بالزنا حيث وقعت الأميرة ماريـا

السكسونية فى غرامه عندما كان يعمل مستشارا لها فى كولونى بالمانيا ولما علم بذلك زوجها الأمير حكم عليه بالسجن واقامته فى المنفى فى سجين . ومحاولات أمى فى انقاذه واطلاق سراحه من السجن قد يكون لكل ذلك أثره فى نفورى من الطيش والاستهتار واخلاصى الدائم لزوجتى حتى وفاتها فجأة بعد ١٧ عاما من الحياة الزوجية السعيدة .

● **متى ذهبت الى باريس ؟**

ـــ عام ١٦٢٢ دعتنى الملكة الوالدة « مارى دى مديتشى » ملكة فرنسا ، وكلفتنى بتزيين قصر اللكسمبورج بسيرة حياتها وعملت ٢١ لوحة كبيرة لجدران القصر وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات عدت بعدها إلى انفرس . وفى السنة التالية تعودتى ماتت زوجتى الأولى ايزيبلا .

● **لحظة من فضلك .. قولك زوجتى الأولى يدفعنى للاستفسار عن زوجاتك الأخريات .**

ـــ زوجة ثانية فقط .. فبعد أن عشت أرملا حزينا أربعة أعوام عملت خلالها سفيرا عدت الى انفرس حيث وقعت فى غرام « هيلينا فورمنت » التى كانت فى سن السادسة عشر ذات جمال آخاذ وبعد أن قاسيت من حرمان أربعة أعوام أردت أن أمتع نفسى بالحلال من ملذات الحياة فتزوجتها وكان عمرى ٥٣ عاما .

● **لقد تذكرت الآن أنك لم تكن تمل قط رسم زوجتك الصغيرة (هيلينا) فعملت لها أكثر من ١٥ لوحة .**

ـــ ليس هذا فقط يا عزيزى .. بل كان من فرط حبى لها أننى كنت أدعها تقف كنموذج لرسومى الدينية والاسطورية..

حقا تركت لوحات كثيرة رسمتها لها .. سواء وهى عارية او بملابسها .. ان هذه اللوحات ستظل أشبه بنوع من الغزل الجسور لأنها تدل على حقيقة حبى لها وتعلقى بها وسعادتى بالحياة الى جوارها .

● وأنت تحدثنى عن زوجتك هيلينا عرفت بأنك اشتغلت بالسلك الدبلوماسى فهل تتفق الدبلوماسية مع الفن يا سير بيتر بول روبنز ؟

— لقد قبلت وظيفة السفير ، لأننى وددت الهرب من أحزانى بعد وفاة زوجتى الأولى ايزابيلا وأعتقد ان الذى ساعدنى على النجاح فيها .

● أنك كنت على قدر كبير من التهذيب والثقافة والقدرة على الاقناع .

— حتى قالوا اننى أصبحت أقدر الدبلوماسيين فى زمانى واننى أنافس الكاردينال ريشيليو فى فرنسا وهو الذى كان اكبر السياسيين حذقا انذاك .

● ترى هل كنت تمارس الرسم خلال عملك كسفير ؟

— انا لم أنقطع عن الرسم أبدا .. فان الألفة والمودة اللتان يخلقهما الرسم ساعدانى كثيرا فى عملى كسفير . فقد كان الذين يقفون أمامى فترات طويلة يشعرون بالثقة فى .

● هل لك أن تقدم لنا درسا عمليا على توفيقك فى احدى مهامك الدبلوماسية ؟

— هناك الكثير من الدروس الا أننى اذكر لك أننى ذات

يوم كنت ارسم صــورة لدوق باكنجهام وفهمت منه ان انجلترا لا تعارض فى عقد صلح مع أســبانيا ، فاخذت هــذه المبادرة وقمت بالتردد بين بلاط فيليب الرابع ملك اسبانيا وشارل الأول ملك انجلترا وبعد شــهور طويلة من الجهود حصلت على توقيعهما على معاهدة بانهاء العداء بين الدولتين . وقد منحتنى الدولتان القاب شرف .

● **لقد كان معظم حديثنا عن حياتك الخاصــة فهل لنا أن نتحدث عن الفنــان الكبير روبنز اعظم فنــانى العــالم وصاحب المدرسة الفلمنكية .. الفنان الذى رسم تكوين الأنثى بالجمــال الذى ينبض بالحياة .**

ـــ يا عزيزى ان الجميع عندما يتحدثون عن فنى يسهبون فى الحديث عن رســومى للفتيات العاريات اللاتى يضطجعن على الحشائش أو يتنزهن فى الغابات أو يخرجن الى الحمــام وهى اللوحات المعلقة فى المتاحف فى جميع انحاء العالم ولكن اسمح لى أن أوضح حقيقة هامة .. ان هــذه الصور ذات الأرداف العريضة التى تمثل الأنوثة بأجلى معانيها رموز للخصــوبة والاثمار فهن لا يوحين بالجنس بأكثر مما توحى به الفاكهة التى يراها الانسان ساقطة من السلال ومهما كانت أوضــاع هــذه الصور فانها تعبر عن جو من البراءة .

● **يا سير روبنز .. لوحــاتك التى تعج بمئــات الأفخــاذ والأثداء والأرداف والبطون وكلها موفورة الصحــة تنضح بعصارة الحياة كان حريا بهذه الأجســاد الريانة التى تثير فينا نوعــا من التافف لولا هذه الألوان النورانية المشعة التى صغت منها جسم المرأة والتى ضاع سرها من بعدك .**

ـــ هل تدرى أن لوحاتى أثارت حماس العديد من فنــانى

القرن الثامن عشر وبخاصة « رينولدز » فى انجلترا و « بوشـــيه » و « واطو » وفراجونار فى فرنسا .

● **نعم .. نعم ولكن ارجو الا تنسى الموجة المضـــادة لفنك مع قيام الحركة الكلاسيكية الجديدة فىأوائل القرن التاسع عشر .. فمثلا الرســـام « آنجر » كان ينصح طلبته لدى زيارتهم لمتحف اللوفر فى باريس لدراســـة آثـــار « رافاييللو » أن يعصبوا عيونهم عند مرورهم بأعمالك .**

ـــ لمـــاذا تذكر المدرســـة الكلاســـيكية الجديدة فقط .. لمـــاذا لا تذكر الحماس لفنى عندما ظهرت الحركة الرومانتيكية .. ألم يفتن « ديلاكروا » بفنى وتحدث عنه الكثير فى يومياته فوصفنى بالساحر وامتدح طلاقتى وجسارتى وعنفوانى امتداحا عظيما .. ألم يقل يوما على احدى لوحاتى أنها أشبه بندوة يتكلم فيها كل الحـــاضرين فى آن واحد .

● **ارجو ألا تنسى أن « ديلاكروا » كثيرا ما كان يبدى تحفظا تجاه أعمالك بل لقد كان ينتقد أعمالك أحيانا .**

ـــ مهلا يا عزيزى مهـــلا .. لم تكن لوحـــاتى كلها صـــور عارية .. فالصور العارية جزء من انتاجى .. لقد رسمت مئات من صور الأشخاص والمناظر الطبيعية ومناظر الصيد .. بل ماذا يقال عما قدمته من رسوم دينية صورت فيها المسيح .. ما الرأى فى لوحتى الشهيرة « النزول من الصليب » .

● **يقولون أن هنالك من الفنانين من قدم لوحات عن المسيح لا تقل عظمة وروعة وشهرة عن لوحاتك الدينية .**

ـــ ان لوحاتى عن المسيح رسمتها بأحساسى العميق بما كان

يشـعر به ويعانيـه من آلام .. فى نسيج اللحـم .. فى العيون والشفاه .. فى وضع الرأس فى انهيار الجسـد .. ولكن الأهم من ذلك كله سر العاطفة التى أثيرها انما يكمن فى الحـركة .. ايقاع الحجم واللون .. ايقاع الحماسة الدينية .

● **نحن لا ننكر أبدا عظمـة فنك أيها النبيل روبنز فرغم مضى أربعة قرون على مولدك مازال ينطق بالحيويـة والعظمـة والرهبة .. نحن لا ننكر ذلك الكم الهائل من اللوحات الخالدة التى زادت عن السبعة الاف لوحة .. نحن لا ننكر تزيينك سقف الهوايت هول بالرسـوم الرائعة ولكن نستفسر ... هل رسـمت هـذا العدد الكبير من اللوحات بنفسك ؟**

ـــ بالطبـع لا .. فهنالك من المساعـدين .. عشرات من الفنـانين الموهوبين جعلتهم يساعـدوننى .. صـقلت مواهبهم الفنية .. أجزلت لهم العطاء المـادى كان يسرهم دائما أن يعملوا معى فكسبوا الخبرة والمران والشهرة العريضـة فيما بعد .. من هؤلاء « انتونى فان دايك » و « جـان بروجيـل » و « فرانس سنايدرز » .

● **حقا لقد كانوا فنانين عظـام .**

ـــ وطالمـا ذكرنا هؤلاء المساعدين فلابد أن تعرف تلك الحقيقة الهامة .. فان الأعمال التى كلفت بها كانت كثيرة جدا وأصبح من المستحيل على أن أنفذها وحدى فكنت ارسم الخطوط الخارجية للصـورة واحدد الألوان ثم اقوم أنـا أو احد تلاميذى بالتلوين ويتولى أحد المساعدين اضافة المناظر الطبيعية بينما يقوم الثانى برسـم الخيول والثالث برسم الحيوانات المفترسـة والرابع للأشخاص ثم أضيف لمساتى النهائية التى تطبع اللوحة بطابعى .

● ان عظمتك لا تكمن فى هـــذه الحصيلة الرائعـــة من اللوحات والرســوم فحسب ، بل تكمن فى صفاتك العظيمـة التى تميزت بها ، فانك لم تخدع ابدا احد عملاءك الذين اشتروا لوحاتك بل كنت تذكر فضل مساعديك وتلاميــذك ولعل خطــابك الذى ارسلته الى اللورد البريطـانى تقول فيه ((ان لوحة ((بروميتوس)) أصيلة ومن صنع يدك والنسر رسمه مساعدك ((فرانس)) .. تاكيــدا بانك تحــاول اظهار جهود الآخرين من مســاعديك وهو ما يفتقر اليه الآن فنانو القرن العشرين)) .

— ان الفن رسالة تتناقلها الأجيال .. علم لابد أن يرتفع خفاقا وتقاس الدول الآن بعظمــة فنانيها .. فيجب الا يبخل ذوى الموهبة منهم عن مساعدة أخوتهم .. فأنهار المعرفة والفن لابد وان تصب جميعها فى اعداد دول قوية شامخة .

● أحيانا يحتاج فنانو هــذا العصر الى معرفة لمحــة من حياة عباقرة فنانى القرون المــاضية فهل لك ان تقدم لهم يوما من حياتك يا سير بيتر بول روبنز ؟

— لقد كنت منظما فى حياتى ولعل هذا التنظيم هو الذى اضفى على من الحيوية الكثير .. كنت أستيقظ فى الرابعــة كل صــباح وأحضر للصــلاة المبكرة ثم أبدأ فى العمــل . وفى اثنــاء انشغالى بالرسم انصت الى غــلام مهمتــه أن يقرأ لى مؤلفــات تاسيتوس أو بلوتارك . وفى الظهر اتوقف لتناول وجبــة خفيفة معظمها من الخضروات لأننى كنت أعتقد أن اللحوم تضر الفنــان الخالق . وفى الساعة الخامسة اترك الرسم وأمتطى صهوة جوادى أتنزه به فى مشارف انتويرب وفى المساء يجتمع الأصــدقاء والأسرة حول مائدتى الحافلة يأكلون ويتحدثون .

● **لى ملاحظـة صغيرة على برنامجك .. اذ كيف أثنـاء انشغالك بالرسم تنصت الى شخص يقرأ عليك بعض المؤلفات .**

ـــ بل أكثر من ذلك لقد كان بوسعى أن ارسم وانصت الى كتـاب يقرأ على ، وأملى خطابا بل وأتجاذب مع زوارى أطراف الحديث بلغاتهم المختلفة كل ذلك فى آن واحد .. وأريد أن أذكرك اننى كنت اتفاهم مع زوارى بسبعة لغات أعرفها .

● **ما هى اجمل لوحاتك ؟**

ـــ كأنك تسألنى اى من الأبناء أفضل .

● **حتى فى ردودك عن الفن تستخدم الدبلوماسية .. بماذا تنصح فنانى القرن العشرين من واقع تجربتك الشخصية .**

ـــ أقول لهم أن رابطة الرسامين فى انتويرب قد اعترفت بى رسميا كأستاذ وانـا مازلت فى الحادية والعشرين من عمرى ومع ذلك واصلت الدراسـة والتعليم الى آخر حياتى .. وفى سـن الخمسين كنت لا ازال اصنع نسخا من لوحات « تيتان » وغيره لتحسين أسـلوبى الفنى . لقد كنت أرسم بسرعة رهيبة لا أتردد ولا أصحح حتى أن لوحتى « عبادة المـاجى » التى تعتبر من أكبر لوحاتى الفنية اتممتها فى ستة أيام . وبالرغم من أن داء النقرس الذى أصاب يدى بالعجز فى أيامى الأخيرة أمسكت بالفرشاة التى كانت تسقط أحيانا كثيرة من بين أصابعى المتصلبة ورسمت حتى وفاتى فى عـام ١٦٤٠ . ان أهم ما أنصح به الرسـام النـاجح الا يفسده النجاح مطلقـا .. والآن اسمح لى أن أهمس فى اذنك بذلك السؤال : هل يذكرنى جيلكم ؟

● بالطبع يذكرك .. على الرغم من شهوانية فنك - ان صح هذا التعبير - فلم تكن انت شخصيا فنانا بوهيميا فليس فى سيرتك بتاتا ذكر لمغامرات غرامية أو غير غرامية .. فان لم يذكرك هـذا الجيل للوحاتك العارية التى من المؤكد انها تشـده اليها فسوف يذكرك لصورك الدينية العديدة الخالدة .. كما سيذكر لك دبلوماسيتك وثقافتك وفنك .. فقد أعطيت المثل العملى على امكانية ان يخدم الفن السياسة منذ أربعمائة عام أو يزيد .

أيها السفير العبقرى

أيها السير النبيل

« بيتر بول روبنز »

جريدة أخبـار دمياط .
العدد ١٤٣٧ بتاريخ ١٩٨٣/٤/١١ .
العدد ١٤٣٨ بتاريخ ١٩٨٣/٤/٢٥ .

جـول فـيرن

١٨٢٨ ـ ١٩٠٥

هل استطاع الأدب أن يسبق العلم
فى الوصول الى القمر منذ قرن أو يزيد

تغنى به الشعراء فى كل عصر واستلهمه الفنانون والأدبـاء .. واستانس به العشاق فى ليـالى الوجد والسهاد .. وحلم الكثيرون بالصعود اليه .. وبأصالة الأديب كتب قصته ((من الأرض الى القمر)) .

دفعنى الشوق الى استعادتها ولم أكن اتصـور ان ما كتبه جول فيرن بخيـال الأديب عام ١٨٦٥ قد حققـه العلم فى صيف عـام ١٩٦٩ عندما هبط على

سطح القمر أول رائدين من البشر خلال رحلة « أبوللو ١١ » .

لقد كان من الضرورى أن أصطحبك معى يا عزيزى الى قرية « آمى » بفرنسا حيث اقام هذا الأديب الكبير لنتعرف به .. لنلتقى بذلك الرجل الذى استطاع أن يسبق العلم فى الوصول الى القمر بقرن من الزمان أو يزيد .

● **ســألته عن مولده فأجاب :**

ـــ ولدت فى مدينة « نانت » بفرنسا فى ٨ فبراير ١٨٢٨ . كان جدى لأبى قاضيا فاتجه أبى لدراســة القانون وتزوج من أمى التى كانت تنتمى الى أسرة من رجال الملاحة وصناع السفن .

● **بعد مولدك ماذا تذكر من أيام صباك ؟**

ـــ فى ســن السادســة بدأت أتلقى العــلم .. وفى ســن الحادية عشر أبحرت خلسة الى الهند على سفينة صغيرة لكن أبى لحق بى فى « بامبوف » وعنفنى وأعادنى .. فى سن السادسة عشر التحقت بمدرســة الليسية فى نانت حيث أتممت تعليمى حتى حصلت على البكالوريا وبدأت دراسة القانون .

● **الذى طلبت دراسـته فى باريس هربا من حبك لابنــة عمــك .**

ـــ كارولين .. لقد أحببتها بجنون ولكنها تزوجت بغيرى .. فأدركنى اليأس واستأذنت أبى لأكمل دراســة القانون فى باريس .

● **هل يمكنك القاء الضوء على حياتك فى باريس ؟**

— لقد عشت كثيرا .. أقمت فى غرفة مفروشة مع زميل لى كنت أتبادل معه سترة السهرة الوحيدة لدينا لأحضر سهرات المسارح فقد كانت الحركة المسرحية فى قمتها .. صمت عن الطعام ثلاثة أيام لأشترى مسرحيات شكسبير .. تعرفت بديماس الأب الذى أوحى الى بفكرة ثلاث مسرحيات مثلت احداها فى المسرح التاريخى فى ١٢ يونيو ١٨٥٠ لمدة ١٢ ليلة . فى هذا العام أنهيت دراستى للقانون ولكننى رفضت ممارسته مؤثرا مزاولة هوايتى المفضلة الأدب ، مستعينا على المعيشة باعطاء دروس خصوصية . فى عام ١٨٥٢ نشر لى أول قصتين هما السفن الأولى للحرب المكسيكية ورحلة منطاد ثم أتبعتهما بقصتى الطويلة (مارتان بار) . وفى العام التالى مثلت لى أوبريت من فصل واحد.

● **كل هذه المؤلفات وانت مقيم فى غرفتك المفروشة مع زميلك ؟**

— لا .. فقد اتخذت مسكنا صغيرا بشارع (بون نوفيل) وعكفت على التأليف ونشرت لى روايتا السيد زاكاريوس عام ١٨٥٤ وشتاء فوق الثلج عام ١٨٥٥ .

● **متى انتقلت للاقامة بشارع مونمارتر .**

— عندما تزوجت من « أونورين آن هيبيه موريل » فى ١٠ يناير ١٨٥٧ وكانت أرملة فى سن ٢٦ ولها ابنتان من زوجها الأول . انتقلت للاقامة بمونمارتر وتتابعت كتبى عن رحلاتى الى انجلترا واسكتلندا عام ١٨٥٩ والنرويج واسكندنافيا عام ١٨٦١ .

● يقولون أنك عشت فى القرن الذى انجب العباقرة .

ـــ بالطبع فكل الأفذاذ مثل بلزاك .. ديكنز .. تولستوى .. ترجنيف .. دستويفسكى .. فلوبير .. ستندال .. جورج اليوت .. زولا .. ديماس الأب .. كل هؤلاء ثمرة القرن التاسع عشر .

● ما دمنا قد ذكرنا ديماس الأب فانهم يقارنون بينك وبينه فى عبقريتك وقوة خيالك .

ـــ قد يكون هذا صحيحا ولكن أعتقد أن هناك فارقا واحدا بينى وبينه . فبينما سلط اسكندر ديماس الأب اشعاع خياله على الماضى يستخرج منه أروع رواياته سلط أنا هذا الاشعاع على المستقبل استنبئه أعجب النبوءات التى تحقق الكثير منها .

● يقولون أنك كنت تهوى شراء سفن الصيد واليخوت الفاخرة .

ـــ حقا بالرغم من انتقالى الى منزل فاخر فى (كروتوى) بحوض السوم بعد أن واتتنى الشهرة ، فقد اشتريت سفينة صيد أطلقت عليها اسم « سان ميشيل » لقد كنت اعتبرها مكتبى العائم وعلى ظهرها كتبت قصتى عشرون ألف فرسخ تحت الماء . وفى عام ١٨٧٤ اشتريت يختا فاخرا أسميته سان ميشيل الثانى . وفى عام ١٨٨٠ اشتريت يختا آخر أسميته سان ميشيل الثالث .

● من الملاحظ أنك قد سميت اليخوت الثلاث سان ميشيل الأول والثانى والثالث .. ترى هل هنالك سبب لذلك ؟

ـــ نعم فقد أطلقت عليها سان ميشيل تيمنا باسم ابنى الوحيد ميشيل الذى رزقت به عام ١٨٦١ .

● **وماذا عن هواياتك للرحلات ؟**

— الرحلات .. ما أجملها وما أمتعها .. فقد سافرت فى رحلات عديدة فى البحار والأقطار الأوروبية وكان شريكى فى هذه الرحلات الشاب « اريستيد بريان » الذى أصبح رئيسا لوزراء فرنسا فيما بعد .

● **هل كنت مغرما بالريف حتى أنك تركت باريس لتقيم فى قرية آمى .**

— الحقيقة اننى فقدت أبى كما فقدت أمى عام ١٨٨٧ وشقيقى بول عام ١٨٩٧ لذلك آثرت أن اعيش بقية حياتى فى هذه القرية الهادئة حيث فزت فى انتخابات المجلس البلدى فتقاسمتنى أعباء التأليف والادارة المحلية حتى عام ١٩٠٢ حيث أصبت بالمياه الزرقاء فى عينى وخلدت للراحة حتى وفاتى فى ٢٤ مارس ١٩٠٥ عن ٧٧ عاما .

● **متى بدأت تلفت اليك الأنظار ؟**

— فى الأعوام من ١٨٦٣ الى ١٨٦٥ خلال هذه الفترة قدمت الى الناشر هيتزل روايتى ٥ اسابيع فى منطاد .

● **التى حققت نجاحا ساحقا فى فرنسا والخارج وتعاقد معك على نشر كتبك لعشرين عاما متتالية .**

— ليس هذا فحسب بل أشركنى الناشر هيتزل فى انشاء مجلة جديدة بدأت تنشر لى رواياتى مسلسلة قبل جمعها فى كتاب .. فظهرت لى مغامرات القبطان هاتيرا ثم رحلة الى جوف الأرض عام ١٨٦٤ .

● بالطبع لا يمكننـــا أن نعدد مؤلفـاتك التى زادت عن ٨٠ قصـــة طويلة او روايـــة الى جانب اشرافك ومشـــاركتك فى ١٥ مسرحية بخلاف كتبك الغير روائية التى منها .

ـــ الجغرافيا المصورة لفرنسا ومستعمراتها عـام ١٨٦٨ ، وتاريخ الرحلات الكبرى والرحالة الكبار عـام ١٨٧٨ وكريستوف كولمبس عـام ١٨٨٣ .

● ونحن لا ننسى ايضا سلسلة الكتب التى انشاتها بعنوان « رحلات خارقة للمـألوف » والتى استمر نشرها ٤٠ عاما .. لقد توصلت بخيالك الروائى الى الحقـائق العلمية قبل ان يبلغها اجتهاد العلماء باكثر من قرن .

ـــ نعم فقـد تواخيت فى مؤلفـاتى الدقـة اذا ما عالجت موضوعا علميا . فلم أطلق خيالى على عواهنه وانما درسـت كافة الحقائق العلمية دراســة دقيقة لأبنى عليها وقائع روايتى .. ففى قصتى عشرون ألف فرسخ تحت المـاء فقد صـورت الغواصـة قبل أن تخترع وفى قصتى ثمانون يوما حول العالم وصفت فيهـا الطائرات قبل أن تظهر للوجود .

● حقا ان القارىء لرواياتك ســوف يعجب لهذه الطاقـة الخارقة من الخيال وقوة الابتكار عندك ، فقد عكفت على تطويع الكشوف العلمية غير المنظورة فى عصرك لمجهودك اليومى من الخلق والابتكار على صفحات رواياتك العديدة الباهرة وخصوصا قصتك « رحلة من الأرض الى القمر » ..

ـــ فى هذه القصة كانت حساباتى وتقديراتى كلها صحيحة ودقيقة لأننى اعتمدت على قوانين الطبيعة وطبقتها فى تصـوراتى

وتخيلاتى واعتمدت كذلك على النظريات الفلكية القديمة . أن قصتى رحلة من الأرض الى القمر التى قدمتها عام ١٨٦٥ بالرغم من أنها من قصص الخيـال العلمى الا أنها تشابهت مع العمل الخـارق الذى قامت به أبوللو ١١ عام ١٩٦٩ أى بعد أكثر من قرن من الزمان .

● هل يمكننا أن نعرف أوجه الشبه بين احداث قصتك هذه ورحلة ابوللو ١١ ؟

ـــ فى قصتى من الأرض الى القمر .. الكبسولة كانت تحمل ثلاثة رجـال (أمريكيين وفرنسى) ، كما أن ارتفـاع الكبسـولة المخروطية الشـكل والمصـنوعة من الألمونيوم ١٢ قـدما وقطرها ٩ أقدام .. ترى كم حملت كبسولة ابوللو ١١ وما حجمها ؟

● لقـد حمـلت ثلاثـة رواد هم ارمسـتر ونج وكولنز والدرين .. اما ارتفاعها فكان احدى عشر قدما وسبع بوصـات وقطرها اثنى عشر قدما وعشر بوصات .

ـــ هذا صحيح .. أما عن المكان الذى انطلقت منه الكبسولة فى قصتى بقرب من خط العرض ٧٧ فى فلوريدا على بعد ١٤٠ ميلا من (كيب كندى) واعتقـد انـه نفس المكـان الذى انطلقت منه أبوللو ١١ .

● كما انني اذكر أن فى قصتك جعلت تكساس تحصـل على شرف اطلاق الكبسـولة من أرضها .. وقد قدر لتكساس أن تكون المكان الحقيقى الذى اختارته هيئة الفضـاء للاشراف على سير الرحلة لمركبة ابوللو ١١ .

ــــ ليس هذا فقط .. بل لقد قدرت سرعة الكبســولة عند اطلاقهــا بـ ٣٦ الف قدم فى الثانيــة وبعد اطــلاق مركبــة أبوللوا ١١ كانت سرعة محرك المرحــلة الثالثــة ٣٥٥٣٣ قدما فى الثانية .. كما أننى قدرت لكبسولة المركبة فى قصتى زمانا لا يزيد على ٩٧ ساعة و ١٣ دقيقة و ٢٠ ثانية لكى تصل الى القمر .. هل تذكر كم من الوقت استغرقته أبوللو ١١ فى رحلتها ؟ .

● نعم فقد استغرقت الرحلة ١٠٣ ساعات و ٣٠ دقيقــة .

ــــ ماذا أقول لك يا عزيزى عن أوجه الشبه الأخرى بين قصتى الخيـالية من الأرض الى القمر وما قامت به أبوللو ١١ .. هل أقول لك لقد دارت كبسولتى عدة مرات حول القمر وعلى نفس الارتفاع الذى وصلت اليه أبوللو ١١ .. هل أقول لك لقد عاين رجال الفضــاء الذين كانوا فى الكبسولة حالة انعدام الوزن وصور كل من الفريقين السطح القمرى ــ كما رسمت أنــا منذ نحو مائة عام أو يزيد ــ بحر الهدوء الذي هبط اليه عام ١٩٦٩ كل من ارمسترونج واروين الدرين .. بل قد تدهش عندما تعلم خاتمــة قصتى .. فقد هبطت كبســولتى فى المحيط والتقطت سفينة ضخمة رجال الفضاء بعد هبوطهم من القمر وهو ما حدث لرواد أبوللو ١١ تماما .

● لحظة من فضلك يا مسيو جول فيرن ... هل يمكننى أن أعرف كيف صورت لحظة انطــلاق الكبسولة كما تخيلتها فى قصتك هذه .

ـــ لقد كتبت ببساطة « زلزلت الأرض زلزالها وانطلقت الكبسولة تشق طريقها نحو السماء وصوت الرعد يصم الآذان وكأن بركانا قد انفجر فجـأة فالتهبت السماء وظهرت كرة من النيران وتراكمت حولها الأبخرة وسحب الدخان » .

● يالله .. ان ما صورته عـام ١٨٦٥ هو ما حدث عند اطلاق كبسولة أبوللو ان ما يدهشني يا اديبنا (جول فيرن) انك صـوبت كبسولتك نحو القمر بنفس الطريقـة التى صوبت بهـا هيئة (ناسـا) مركبة أبوللو ١١ نحو النقطة التى حددت لها على القمر .. ولكن مهلا يا مسيو (فيرن) ان رواد سفينتك لم يهبطوا على سطح القمر لمـاذا ؟؟

ـــ لأننى اخطـأت فلم أمدهم بأردية فضـاء خاصـة .. ولكننى أمددتهم بمحركات صاروخية مثل المحرك الصاروخى الذى استخدمه رواد أبوللو ١١ عند عودتهم من القمر الى المحيـط الهـادى .

● حقا لقد كنت يا مسيو (جول فيرن) احد هؤلاء الذين تنبأوا بهذا الانتصـار العلمى الرائع .. وبلا جدال فقد كنت اعظم كتاب القصة العلمية الخيالية فى عصرك .

ـــ شـكرا ولكن اسمح لى أن استفسر منك هـل مازال جيلكم يذكرنى أم أن أضواء الاكتشافات الحديثة هزتكم وما توصل اليه العلم والتكنولوجيا شدكم اليه فتناسيتم اننا كنا أول من أضاء لكم الشموع لتضعوا أرجلكم على أول سـلم الصعود للمجد ؟

● اننا لم ننساك ابدا يا مسيو جول فيرن .. ان قريـة (آمى) التى عشت فيها بقية حياتك يا مسيو فيرن الم تكرمك

عندما منحت كلا من رواد ابوللو ١١ ارمسترونج وكولنز والدرين تقليدها المعروف بأن يصبحوا مواطنين لها ؟؟ .. ثم لـماذا نذهب بعيدا .. اليس هـذا اللقاء بيننا كفيل بأن يعيدك لأذهـان شباب جيلنا من هواة البحث العلمى والقصص الخيالى يا أديبنا المبدع .

جـول فـيرن

اذاعـة لندن ١٩٧٧/١٠/٢٨ .



اليزابيث بلاكويل

١٨٢١ - ١٩١٠

النموذج المشرف لكفاح اول امراة درست الطب في امريكا

الذين تصوروا ان المراة اكتسبت حقوقها فى سهولة ويسر هم واهمون .. الذين تصوروا ان المراة نالت حقوقها استنادا الى سلاح الجمال والدلال والرقة هم ايضا واهمون .. فما انتزعته المراة من حقوق اكتسبته بكفاحها المضنى بصمودها فى وجه العواصف .. بجدها واجتهادها .. بثقتها بنفسها .. بقوة شخصيتها وصلابتها .. بجلدها وصبرها

واصرارها .. بالنحت فى الصخور باظافرها .. ولعل خير مصداق لهذا الكفـــاح المشرف للمرأة هو ان اصطحبكم معى فى لقاء اول فتـــاة طلبت فى اصرار أن تلحق بكلية الطب أسوة بالذكور من الطلبـــة فحق لها أن تسمى أول طبيبة فى أمريكا .

● **سألتها عن طفولتها فأجابت :**

ـــ ولدت فى انجلترا عام ١٨٢١ ومن طفولتى اظهرت ميلا شديدا للعلم والمعرفة لمــا بلغت الحادية عشر من عمرى انتقلت مع والدى الى أمريكا . لم نمض سبع سنين حتى اتممت التخصص فى دراسة التاريخ فضـــلا عن اجادة اللغتين الفرنسية والأسبانية . عملت بالتدريس ولكن سرعان ما سئمتــه وفكرت فى البحث عن عمل آخر .

● **اسمحى لى بعد أن قدمتى لنا لمحــة سريعة من طفولتك وفجر شبابك أن أسألك كيف نبتت عندك فكرة دراسة الطب .**

ـــ ذات يوم مرضت جــارة لى فقيرة فتطوعت لخدمتهــا وقضاء مطالبها فى أوقات فراغى وشعرت بمتعة كبيرة فى تمريضها وحين تماثلت للشفاء همست فى أذنى اننى مدينة للمسات يدك ونظراتك الرحيمة بما حصلت عليه من الشفاء . لمــاذا لا تكون مثلك طبيبة ؟ . . استعدت هــذا القول الأخير أكثر من مرة ووجدت رغبة حقيقية فى تعلم الطب واحترافه . عندما حضر طبيب العائلة لزيارتنــا تحدثت اليه فى رغبتى دراســة الطب فقــال لى انك

تستطيعين دراسة التمريض او الولادة اذا شئت إما دراسة الطب فلا يصلح لها الا الرجال .

● **يبدو ان طبيب الأسرة قد صدمك برايه مما دفعك لأن تعودى الى مهنة التدريس رغم كراهيتك لها .**

ـــ من قال هذا .. ان اصراره على أن مهنة الطب لا تصلح الا للرجال دفعنى الى قراءة الكتب التى تبحث فى مختلف فروع الطب كل هذا الى جانب عملى كمدرسة حيث ادخرت مبلغا من المال يكفى لنفقات تعلمى الطب وذهبت الى فيلادلفيا لألتحق باحدى كليات الطب المعروفة بها .

● **بالطبع رحبوا بك :**

ـــ رحبوا بى .. لقد رفضت جميع كليات الطب طلبى .. بل رفضته أيضا اثنتا عشرة مدرسة طبية أخرى فى اماكن مختلفة .. لقد جحظت عينا عميد احدى كليات الطب دهشة حين اقدمت على محاولة دراسة الطب واتهمنى بأننى مصابة بلوثة فى عقلى .. عميد مدرسة طب ردنى قائلا : أيسر عليك يا ابنتى أن تتزعمى ثورة من أن تصبحى طبيبة .

● **مسكينة لقد قطعوا أملك فى تحقيق رغبتك .**

ـــ بالعكس لم أيأس مطلقا .. بل لم اجد بأسا فى الالتجاء الى الكليات الصغيرة المغمورة فقبلتنى احداها بمحض الصدفة.. الصدفة وحدها .

● **كيف هذا بربك ؟**

ـــ عندما قدمت طلبى للالتحاق بتلك الكلية المغمورة راى

اعضاء مجلس الكلية أن نكون رفض طلبي عن طريق استفتاء الطلبة في شأنه على ألا اقبل الا اذا أجمع هؤلاء على قبولي . وبالطبع كان المجلس على يقين من أن الطلبة لن يجمعوا على ذلك ولكن حدثت المعجزة فأجمع الطلبه على قبولي .

● برافو .. لقد اكد الطلبة باجماعهم على قبولك شجاعة الرأى قبل اساتذتهم ولابد قد ساعدك تاييدهم في تذليل العقبات التى تقف في طريق دراستك .

ـــ شجاعة الرأى .. انت واهم يا عزيزى .. لقد أجمع الطلبة على قبولي لا لشيء الا لكي يتخذوني موضوعا للضحك والسخرية .. ماذا أقول لك .. هل أحدثك عن أساتذة الكلية الذين كانوا لا يعيرونني أى التفات خلال محاضراتهم .. أم الطلبة الذين كانوا يتضاحكون على كلما سنحت لهم الفرصة .

● اساتذة لا يعيرونك التفاتا .. وطلبة يتضاحكون عليك .. اى جو هذا الذى كنت تعيشين فيه ؟

ـــ لو كان على الأساتذة والطلبة لهان الأمر .. ولكن ماذا تقول في ذعر أهل الضاحية عندما سمعوا ان فتاة قد التحقت بكلية الطب .. ماذا تقول عن أصحاب البنسيونات الذين أغلقوا أبوابها في وجهي .. أو بالأحرى في وجه هذه الفتاة الشاذة (المسترجلة) على حد قولهم .. ما رأيك في صبية صغار يجرون ورائي كلما رأوني في الطريق يصطحبونني في غدوى ورواحي مهللين ساخرين .. حقا لقد كانت أيامي هذه مريرة قاسية .

● يقولون ان لك من المواقف الشجاعة الكثير خلال دراستك فهل لك ان تميطي اللثام عن احد هذه المواقف مع اساتذتك ؟؟

— مع أستاذ التشريح بالذات .. فبعد أسابيع من التحاقى بالكلية طلب الى الا أحضر الى قاعة التشريح حيث أنه سيقوم باجراء جراحة دقيقة وحرجة أمام الطلبة ولما كنت أؤمن بالقول لا حياء فى العلم فقد قلت له فى ثبات وحزم لقد دفعت مصروفات الكلية كما يدفعها أى طالب آخر وان لى الحق فى أن أشهد جميع ما يجرى فى الكلية أمام الطلبة .

● **وهل حضرتى العملية ؟**

— نعم فقد رأى الأستاذ أن يستشير الطلبة فى حضورى تلك العملية وهو يعلم أنهم سيؤيدون رأيه الا انهم فى هذه المرة أيضا وافقوا على أن أحضر معهم اجراء الجراحة فى غرفة التشريح وراحوا يضحكون سلفا مما لابد أن يحدث لى من ذعر واضطراب ولكننى كنت أثبت قلبا منهم جميعا فخاب بالطبع أملهم .

● **عطلاتك الصيفية كيف كنت تقضيها ؟**

— بالطبع يعوزنى الوقت لكى أقص عليك ما صادفنى من عبث واضطهاد ومشقة واهانات طوال أربعة سنوات درست فيها الطب قضيت خلالها اربعة عطلات صيفية حافلة بالتعصب لجنس الرجل .

● **اصحيح هذا ؟ اذن لابد وان تحكى لنا ولو موقفا واحدا لعنت الرجال حتى اتمكن — على الاقل — من عقد مقارنة بين الرجال فى جيلكم وبينهم الآن .**

— لما حلت العطلة الدراسية تقدمت للامتحان بمستشفى الفقراء فى فيلادلفيا ولكن مدير المستشفى رفض ذلك قائلا : انك

قد تنسين انوثتك اما نحن فلا يمكن ان ننساها .. ولكننى الحفت فى الرجاء كى يقبلنى ولو ممرضة . وكان التمريض فى ذلك الحين يكاد يكون وقفا على الرجــال فقبلنى على مضض . ولم يرحب أطباء المستشفى بوجودى بينهم . وكانوا يتركون أماكنهم اذا رأونى مقبلة نحوهم . وكان المرضى انفسهم يرفضون أن أقوم بمعاونتهم وتلبية طلباتهم حتى أن أحدهم قال لى يوما « اننى فقير حقــا ولكننى لن أقبل أن تعنى بى امرأة فى أثناء مرضى » .

● على كل حــال يا عزيـزتى اليزابيث .. ان فوزك فى الامتحان النهائى لدراســتك الطب بتفوق لابـد وان يكون قوبل بالتقدير لا فى فيلادلفيا وحدها بل فى العالم اجمع .

ـــ واهم .. واهم .. لقد سخرت الأوساط الطبية منى وحاولت ان تقلل من شأن تفوقى .. حتى الصحافة علقت على خبر نجاحى قائلة « مما يدعو للأسف أن نرى فتاة (شاذة) تخرج عن حدود دائرتها الطبيعية فتسعى الى النزول فى ميادين لا تصلح الا للرجــال » .

● لعل هــذا ما دفعك للسفر الى باريس لتتخصصى فى الجراحــة .

ـــ فعلا .. بعد ان حصلت على الشهادة بثلاثة شــهور ذهبت الى باريس لأتخصص فى الجراحة ولكن رفضت جميــع المعاهد الطبية هناك ان تقبلنى بل أشيع بين الناس اننى (مجنونة) فاضطررت الى التطوع للعمل فى أحد مراكز رعاية الطفل وكان عملى مقصورا على حمل الأغذية للأطفال وتقديم الدواء وما الى ذلك من أعمال المرضين والخــدم . وفى ذات ليلة دعيت للمرة الأولى لكى أحقن طفلا مريضــا وكان ذلك لغياب الطبيب المختص .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

● **حسنا لقد واتتك الفرصة حتى عندك كى تثبتى وجودك كطبيبة ..**

ـــ تمهل .. تمهل لتعرف ما تم .. فقد ملأت الحقنة وتوجهت بسرعة الى سرير الطفل وأنا فرحة بسنوح هذه الفرصة حتى زلت قدمى فجأة وسقط على الأرض وتطاير الدواء من الحقنة التى كانت بيدى ودخل بعضه فى احدى عينى .

● **مسكينة يا حرام .. معنى هذا فشلك فى اول محاولة عملية لك .**

ـــ يا ليت هذا فقط .. ولكن عينى التى دخلها الدواء ما لبثت ان تلفت ولم يجد فيها العلاج .. وهكذا فقدت كل أمل فى التخصص فى الجراحة واضطررت أن أعود الى أمريكا وأنا فى شدة الحزن ومنتهى الضيق .

● **يبدو ان حزنك هذا قد دفعك لاعتزال مهنة الطب .**

ـــ كيف أعتزل بعد هذا المشوار الطويل فبعد أن استقريت فى نيويورك ذهبت للبحث عن عيادة ازاول فيها مهنة الطب .

● **لقد رحبوا بك قطعا .**

ـــ من ؟؟ أصحاب البيوت .. لقد رفضوا ان يؤجروا لى مسكنا لهذا الغرض ظنا منهم أن عيادتى سوف تصبح مباءة يتردد عليها الشبان الفاسدون وعندما عثرت أخيرا على مكان يصلح عيادة اشترط على صاحب البيت الا أعلق لافتة باسمى .

● **يا للعجب .. اذن كيف عرف عيادتك المرضى دون ان تعلقى لافتة باسمك .**

— لم يعرفها أحد وظللت اسبوعين انتظر مرضى ولكن أحدا لم يأت

● **اعتقد ان هذا ضايقك كثيرا .**

— فعلا ولكن كان من الضرورى أن اقطع ملل الانتظار فجلست أكتب قصة حياتى وبدات انشرها فى المجلات وبدأ النساء يترددون على فى الخفاء وفى حذر شديد .. فكرت أن أفتتح مستوصفا صغيرا ورحت أشيع بين المرضى دستورى فى العلاج وهو يتلخص « ان الهواء النقى والنظافة والغذاء المنتظم هى مقومات الصحة الجيدة » .

● **من المؤكد ان يكون قد اعجب بنصيحتك هذه الكثيرون والكثيرات وبفضلها ازداد الاقبال على مستوصفك .**

— نصيحتى هذه عندما كان يستمعها المرضى يضحكون على .. بفضل نصيحتى سرعان ما ذهب رأس مال المستوصف فاضطررت الى غلقه .

● **يبدو أن الحظ كان يعاندك يا دكتورة (اليزابيث بلاكويل) .**

— الى حين .. فبعد أن حذت أختى حذوى فى دراسة الطب وأتمت دراستها انضمت الى فى عيادتى ثم فكرنا أن نؤسس مستشفى كل موظفيه من الجنس اللطيف فاسسنا مستشفى للأطفال والنساء . تفتكر كم مريضا عالجنا خلال العام الأول من افتتاحه .

● حسب ظروف الحظ الذى يعاندك منذ بدأنا نستعرض قصة حيـاتك فأرجو أن تسمحى لى بالاحجـام عن تقدير عـدد مرضـاك .

ـــ ان الحظ لم يولينى ظهره على طول الخط .. فقد كان يضعنى موضـع الاختبار ليرى الى أى مدى يمكن لامرأة مثـلى الصمود فى وجه الرياح العاتيـة .. وحمدا لله مرت العاصفـة بسـلام .. فبالرغم من أنه حـدث ذات مرة أن ماتت مريضـة بمستشفانا ومع أن التحقيق أثبت أن لا مسئولية على أو على أختى .. الا أنه هجم علينا جماعة من الفـلاحين بعصيهم ولولا توسل مريضة كانت قد شفيت على أيدينا لهلكنا فى ذلك اليوم . لقد كانت مريضة ضمن تسعمائة وخمسون مريضـة عولجت فى مستشفانا خلال العام الأول من افتتاحه .

● لقد سعدت الآن فقد ابتسم لك القدر .

ـــ ابتسم حقا .. فقد ازدهر المستشفى .. بدأ الأطبـاء يتوددون الى والى شقيقتى باعتبارنا مديرتى المستشفى ... حضر الأطبـاء من الخـارج خصيصـا ليدرسـوا النظم المتبعـة فى مستشفانا .

● همسة فى اذنك يا دكتورة اليزابيث .. هـل اكتفيت بنجاحك فى مستشفاك ؟

ـــ بالطبع لا .. ففى عام ١٨٦٦ أسست مع شقيقتى كلية طب خاصـة بالنساء الى جانب مستشفانا .. لقد كانت هـذه الكلية بما عرف عنها من دقـة وكفاءة موضع فخر واعجاب حتى ن رجال التعليم فى أمريكا أخذوا يفتتحون فى نيويورك وبوستن فيلادلفيا كليات خاصة بالطالبات على نسق كليتى التى أسستها .

● مما لا شك فيه يا دكتورة انك اول امراة أصبحت أول طبيبة فى أمريكا .. ولكن هل اقمت فى امريكا حتى نهاية العمر ؟

ـــ لا فقد غادرت أمريكا الى انجلترا فبعد أن أعتزلت العمل ابحرت الى انجلترا مسقط راسي وبالرغم مما أصـــابنى من مرض عضال فقد عكفت على تاليف عدة كتب وانـــا طريحة الفراش .. لم ينسينى آلام مرضى فى أخريات أيامى ســوى الأخبار الطيبة التى كانت ترد الى من شقيقتى عن تقدم المستشفى والكليــة .. حتى جاء صاحب الجلالة (الموت) فاصطحبنى معه فى رحـلة الأبد فى ٣١ مايو عـــام ١٩١٠ وتبعته صاغرة مرغمة .

● وان كنت قد ذهبت عنا بالجســد يا دكتورة بلاكويل يا طبيبة أمريكا الأولى ففتيات جيلنا اليوم والأجيــال القادمة سوف لا ينسون انك قد مهدت بكفاحك الطريق للآلاف والآلاف من الفتيات اللاتى يشتغلن الآن طبيبــات ناجحات لا فى أمريــكا وحدها بل فى العالم اجمع ولتطمئن نفســك فهناك من المستشفيات فى أمريكا والعالم كل موظفيها من النساء وجميع كليات الطب الآن ما عدا واحدة او اثنتين لا تفرق بين الذكور والانــاث فى القبول .. لقد كنت شعلة مضيئة وسيظل نورك مشــعا وكفاحك نبراســا تهتدى به فتياتنا ابنتها العزيزة .. الدكتورة .

اليزابيث بلاكويل

اذاعة لندن ١٩٧٨/٦/٢ .



فكتور هوجو

١٨٠٢ - ١٨٨٥

حين أعلنت وفاته رفع مجلسا الشيوخ والنواب جلساتهما حدادا عليـه ، وتقرر أن يدفن فى البانتنون وان يكتب فوق قبره ((الوطن يعترف بجميل رجاله العظام)) . حياته ملحمـة ممتلئة بلحظـات من العنف والرقـة والسمو والانحدار .. وحياة كهذه لابد وان توفر خيوطا كثيرة لنسيج التفكير والتأمل والاستنتاج.

لقد كان ظاهرة انسانية عظيمة وشاعرا مجيدا .. تعالوا بنا نتعرف على شخصية العبقرى الذى أفنى حياته فى سبيل فرنسا وفى سبيل الأدب .



● سالته عن مولده فاجاب :

— ولدت فى ٢٦ فبراير ١٨٠٢ فى مدينة « بيزانسون » جنوب شرق فرنسا . أبى « ليو بول سيجسبير هيجو » كان جنديا شجاعا . تدرج فى الترقيات حتى وصل الى رتبة جنرال . أمى « صوفى فرانسواز تريبوشيه » ابنة ربان سفينة تجارية أحبت أبى لشجاعته واحبها هو لجمالها فتزوجا ورزقا ثلاثة أولاد هم : أبيل وأوجين وأنا فكتور .

● ماذا عن طفولتك ؟

— فى الخامسة من عمرى توجهت مع الأسرة الى ايطاليا حيث عين والدى حاكما لولاية « أفيلينو » . سحرتنى روما ونابولى وبركان فيزوف .. استقر فى مخيلتى قمم جبال الألب ومياه بحر الأدرياتيك . بعد فترة قصيرة عادت الأسرة الى باريس وتوجه أبى الى أسبانيا مع جوزيف بونابرت الذى عينه نابليون ملكا عليها .

● فى باريس اتخذت العائلة مسكنا بمنزل كان قبل الثورة ديرا للراهبات .

— تقصد (الفاينتين) حيث أقمنا فيه قرابة الثلاثة أعوام .. كان منزلا متسعا تحيط به حديقة كبيرة ملأى بالأزهار وأشجار الفاكهة .. كنت أقضي فيها الساعات الهو مع أخوى أبيل واوجين وأحيانا كانت تشاركنا اللهو أديل فوشيه اذا اصطحبتها والدتها لزيارتنا . لقد بقيت هذه الأعوال الثلاث عالقة بذهنى أحن اليها كلما تذكرت أوقاتها السعيدة .

● بعد أن عين والدك مارشالا للقصر الملكي فى أسبانيا هل استدعاكم للاقامة معه هناك ؟

— نعم وبارحنا باريس فى طريقنا الى مدريد .. لقد عبرنا مرنسا من الشمال الى الجنوب ومررنا بعدة مدن أسبانية مثل هرناني وتراكوبمادا .. لقد كانت رحلة شاقة استغرقت ثلاثة شهور تقريبا ولكنها تركت فى ذاكرتى أثرا لم يمح .

● بالطبع سعدتم بالقرب من والدكم بالرعاية والحنان خاصة وأن الملك كان يغدق عليه بسخاء .

— الحقيقة كان أبى بحكم طبيعة عمله فى تنقل مستمر فلم نستمتع برؤيته طويلا . أما أخى الأكبر (أبيل) فقد عين حاجبا فى خدمة الملك وأدخلت أنا وأخي (أوجين) مدرسة الأشراف فى القسم الداخلى .

● حيث استقبلتم بالترحاب حيث كان والدك محافظا (لأفيلا) أو حاكما لولاية .

— هذا وهم ... لقد كانت أيامنا فى هذه المدرسة من أشقى أيام دراستنا كلها . عانينا فيها من قسوة الأستاذين بازيل

ومانوويل .. كما عانينا من تركوفيتا ذلك الأحدب الذى كان مكلفا بإيقاظنا كل صباح .. فاذا أضفت الى ذلك نفور التلاميذ الأسبان وكرههم للفرنسيين الغزاة الذين سلبوا عرش ملوكهم لأدركت مدى الحقد علينا .. لقد كانوا يضربوننا كلما سنحت لهم الفرصة وخاصة الطالبين ايسبرو وفراسكو .

● **يبدو أن هذه الفترة أمدتك بأبطال قصصك .. فأعتقد أنك استمددت من شخصية الأحدب كركوفيتا فخلقت منه شخصية (كازيمودو) فى روايتك « نوتردام دى باريس » .. كما أن نقمتك على ايسبرو وفراسكو دفعتك لأن تتخذ من الأول شخصية مجنون كروميل فى مسرحية كروميل ومن الثانى شخصية جوبتا المقلوب فى مسرحية لوكريس بورجيا أليس كذلك ؟**

— هذا صحيح فالأدب مزج بين الحقيقة والخيال .

● **هل لوالدتك أثر فى تثقيفك ؟**

— لم تكن أمى تغفل عن تربيتنا وتثقيفنا رغم أسفار أبى الكثيرة .. فقد أدخلتنا مدرسة الأب لاريفير لندرس مبادىء اللغة اللاتينية واليونانية .. لقد شجعتنا على القراءة .. قرأت مؤلفات تاسيت وكتاب ألف ليلة وليلة مشروحا بالصور . لقد كنت أتلذذ به كلما تصفحته .. لقد أتاحت لى قراءة الكتب من مؤلفات روسو وفولتير وديدرو ورواية رحلات الكابتن كوك والتوراة .. لقد كانت والدتى مولعة بالقراءة والاطلاع كما كانت تميل الى الحرية فى تربيتنا فلا عجب أن كنت قد قرأت الكثير من الكتب الجيدة والغير جيدة .

● **متى بدأت كتابة الشعر ؟**

— كان عمرى أربعة عشر عاما عندما نظمت عددا من

القصائد فى الغزل والهجاء والفخر .. لقد ارسلت الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة من ثلثمائة بيت من الشعر عنوانها « السعادة التى تنجم عن الدراسة فى جميع مراحل الحياة » .

● واستحسنت الأكاديمية شعرك ولكنها استصغرت سنك وظنتها خدعة منك فلم تجزك عليها واكتفت بتسجيل اسمك بين الشعراء .

— لقد شجعنى هذا النجاح على ارسال قصائدى الى أكاديمية الشعر بتولوز تلت عليها عدة جوائز وقد فازت آخر قصيدة منها وعنوانها « اعادة تمثال هنرى السابع » بجائزة الزنبق الذهبى .

● وأخذ اسمك ينتشر فى البيئات الباريسية وطفق الناس يتحدثون عنك .. عن الطفل النابغة .

— كان من الضرورى أن أعتمد على قلمى .. فقد ساء الحال .. بدأت والدتى تسعى فى الطلاق من والدى الذى ذهب مع عشيقته سيسيل توما الى مدينة بلوا بعد أن تفاقم الخلاف وتركنا بلا نفقات .. لقد كانت قصيدة شديدة الهجاء إظهرت فيها ميلى الى الملكية .

● واتبعتها بقصيدة أخرى عن (وفاة الدوق دى بارى) وحازت استحسان الملك لويس الثامن عشر فكافاك عليها بخمسمائة فرنك .

— لقد شجعنى ذلك على نظم ثلاث قصائد أخرى أرسلتها الى أكاديمية تولوز فأجازتنى عليها بأن عينتنى عضوا فيها ومنحتنى لقب أستاذ فى الشعر .

● ألم تطرق أبواب أخرى فى الأدب غير الشعر ؟

ـــ لقد طرقت باب القصة .. طرقت باب الصحافة فأسست مع أخى أبيل جريدة المحافظ الأدبى نشرت فيها قصائد عديدة ودراسات تاريخية وفلسفية كما افردت فصولا للنقد الأدبى .. كانت هذه الجريدة فرصة لتنمية ملكتى الأدبية وتعرفى على الكثير من الشعراء والكتاب وتوطد الصداقة بينى وبين الكثير منهم مثل لامرتين وفينيى وديشان ولامنيه .. ولما أنشئت جمعية الآداب الجميلة انضممت اليها وظفرت قصائدى باعجاب الأعضاء .. لقد كان عمرى حينذاك تسع عشر عاما .

● كيف تزوجت « أديل فوشيه » ؟

ـــ ونحن اطفال كانت أمها تصطحبها عند زيارتها لنا وكانت تنزل معنا الى حديقة المنزل نقطف عناقيد العنب ونقضى الأوقات السعيدة . عندما رحلنا الى أسبانيا تركت أديل طفلة فلما عدت وجدتها شابة وسيمة وجذابه ووجدت نفسى سعيدا بالقرب منها واشعر بالزهو كلما اتكأت على ذراعى ونحن نتنزه فى الحديقة وسط الأشجار . وعندما شعرت أسرتينا بتلك العاطفة الجياشة حاولتا التفريق بيننا لصغر سننا . وكان وقع الفراق اليما علينا غير إننا تعاهدنا على أن نظلا مخلصين مهما طالت الأيام . لقد انتعشت بالأمل ولم أدع اليأس يتملك منى .. بالرغم من الظروف التى أحاطت بى خلال تلك الفترة .. فقد توفيت والدتى وكانت صدمة شديدة لى .. أبى سرعان ما تزوج بعشيقته وساءت علاقته بنا فلم يرضه أن نحترفا الأدب ونعدل عن دراسة الهندسة التى كان يعدنا لها وحرمنا ما كان يمنحنا اياه من مال . لقد ذقت مرارة الفقر عاما كاملا غير أننى وطدت العزم على النجاح .. وتقدمت بشجاعة الى مسيو فوشيه .

● تطلب منه يد أديل . ولما كان والدها يؤمن بالواقع ولا يعد بالوعود فرفض طلب زواجك من ابنته وكادت تضعف ثقتك بنفسك وبمستقبلك .

— غير أن شيطان الحب قد أوحى الى أن أتخذ من الكتابة اليها سلوى لنفسي ووسيلة لتهدئة ثورتي القلبية فأخذت أراسلها شارحا لها ولعي وغرامي .

● مهلا .. فقد انتقل الأب فوشيه وابنته الى (بلوا) التي تبعد عن باريس حوالي الثمانين كيلو متر مما ادى الى تعذر مراسلتها بانتظام .

— لم أجد أمامي الا جريدتي المحافظ الأدبي .. فأخذت أكتب فيها مقالاتي الغرامية الطويلة ثم روايتي « هان ديزلاند » التي جعلتها صورة حية وصفت فيها شدة حبي وغرامي وعذابي على لسان بطل روايتي ... لقد أثرت كتاباتي هذه في مسيو فوشيه الذي لمس صدق حبي لابنته وبعد أن عاد الى باريس سمح لي برؤية أديل مرة في الأسبوع والتحدث اليها في صحبته ووافق على تزويجي اياها بشرط تحسن حالتي المالية والحصول على موافقة والدي .

● من أين حصلت على المال ؟

— عام ١٨٢٢ أصدرت أول مجموعة شعرية (اغاني وقصائد مختلفة) طالبت فيها بتشديد أزر الملكية وتثبيت دعائم العرش والتفاني في تكريم كل ما يبعث مجد فرنسا القديم .. وخلق عصر جديد .. عصر حرية وسلام وعدالة . عثر على كتابي هذا قارىء الملك لويس الثامن عشر في مكتبة بباريس ولما كان

الملك مغرما بالشعر فقدمه اليه وما كادت القصـائد تتلى حتى اعجب بها وخاصـة قصيدتى (وفاة الدوق دى بارى) التى كان يقرؤها كثيرا على حاشيته .. وتقديرا لى ولقصـائدى منحت معاشا سنويا قدره الف فرنك .

● وبالمعاش تحقق لك اول شرط فرضـه والد حبيبتك ليزوجك اياها .

ـــ واستأذنت والـدى الجنرال وسرعـان ما وصـلنى موافقته .. وتزوجت أديل فوشيه فى ١٤ أكتوبر ١٨٢٣ فى حفل بهيج ضم أفراد الأسرة .

● هل حقا كان حفل زواجك بهيجا ؟

ـــ الحقيقة المؤسفة ... ونحن فى نشوة السرور والفرح اذ بأخى (أوجين) تنتابه نوبة عصبية أودت بعقله وكان سببها حبه الذى كان يخفيه لأديل والذى كتمـه فى نفسه احتراما لى .. لقد حزنت وتألمت كثيرا وأدخلتـه مستشفى شارنتون أمـلا فى الشفاء الا انه مات عام ١٨٣٧ .

● مسيو هوجو .. هـل كان لديك ندوات شـعرية مع الأدباء الشبان ؟

ـــ لقد كنا نجتمع فى أيام الأحد عند (شـارل نوربيـه) نتباحث فى الأدب والشعر حتى أنهم أطلقوا على هـذه الندوات اسم (المجمع) ، وكنـا نعقدها فى الشـتاء حول البيان ويتخلل حديثنا عزف بعض المقطوعات وفى الصيف كنا نعقدها فى الحدائق.

● من كان يحضر هذه الندوات الأدبية ؟

ـــ الروائى العظيم اسكندر دماس والموسيقار لست والشاعر الفريد دى موسيه والناقد سانت بيف .

● هل لأديبنا الكبير ان يحدثنا عن علاقته بالناقد سانت بيف ؟

ـــ كان من أقرب أصدقائى فقد ناصرنى بقلمه فى سنوات جهادى الأولى المملوءة بالنضال والانتصارات الأدبية وانزلته فى نفسي منزلة ممتازة رغم قبح منظره وخبث اخلاقه فقد كنت ادعوه دائما لزيارتى ونجلس ومعنا زوجتى أديل التى كانت تحضر الكثير من اجتماعاتنا .. ومع الأيام كثر تردد سانت بيف على منزلى فى غيابى وكانت هذه الزيارات بعد الظهر ما بين الثالثة والخامسة حين كنت أخرج للتريض فى حدائق باريس . كان (بيف) يحضر فيجد أديل فى حديقة المنزل تلهو مع أولادها فيجالسها ويشكو اليها طفولته التعسة ووحدته وشقاءه فتغلب أديل الشفقة عليه ومازال بها حتى استدر عطفها عليه فراحت تكثر من دعوته محاولة التخفيف عنه بحديثها معتقدة أنها تؤدى له خدمة انسانية ولم تكن تدرى حقيقة نواياه . ولم أتصور أن علاقة زوجتى الجميلة الطاهرة بهذا الشاعر القبيح المنظر تجاوز ما تقتضيه الصداقة من مجاملة وتنزلق الى العشق والوله .

● كيف تحققت من ذلك ؟

ـــ عندما طلبت اليه الا يجىء الى منزلى فى غيابى فكانت صدمة له الا أنه تغلب عليها بدعوة زوجتى لمقابلته جلسة فى كنيسة مجاورة لمنزلى ومع الأسف فعلت . وشعرت بتحول كبير

من أديل نحوى فقوى الشك لدى وأخذت الغيرة تلدغنى على مدى ثلاثة أعوام تعرفت خلالها بالممثلة الشابة (جوليت دروبيه) التى اسندت اليها دور الأميرة فى مسرحيتى (لوكريس بورجيا) وتطورت علاقتى بها .

● ذلك التطور الذى دفع زوجتك اديل تتالم كثيرا وتكتم ألمهـا هذا اذ لم تكف يوما عن حبك وظلت تفاخر بشهرتك وتبدو فى كل ناد محبة وفية لك واسعة الصدر تدرك انّ لكل رجل عظيم ميوله وضعفه .

— المهم حاول سانت بيف استغلال علاقتى بجوليت كى يصل الى مبتغاه من زوجتى بأن تخوننى فأكثر من التردد عليها وحاول الترفيه عنها بمواساتها ولم ينس فى كل زيارة أن يلومنى على خيانتى لها ويهول فى ذلك أمامها حتى أنه انتقد مجموعتى الشعرية (الأشعة والظلال) حين نشرتها نقدا مرا وذمنى ذمـا لاذعا لجمعى — على حد قوله — بين زوجتى وعشيقتى فى قصـائد المجموعة . لقد كان يعتقد أنه بنقده وذمه لى سـوف يكسـب قلب أديل ولكن كان العكس صحيح اذ تكشفت لها نفسه عمـا بها من خسة وحقارة ثم ما لبث أن دب الشقاق بينهما . وكتبت اليه بقطع كل علاقة بينى وبينه والا تردد على منزلى . وذات يوم وجدته فى دارى فثرت عليـه وقذفت به آلى الشارع وكانت هذه آخر العلاقات الشخصية بين سانت بيف وبينى وزوجتى .

● لقد سافر بعد هذه الاهانة الى لوزان بسويسرا والتحق بجامعتها وقـام بالتدريس فيها .. غير انه تقدم للترشيح لعضوية الاكاديمية التى كنت انت رئيسها وكان لك موقفا نبيلا معه حينذاك تحدثت عنه كل الأوساط الأدبية .

— بالرغم من أن العلاقات بيننا قد قطعت منذ زمن طويل

وانه لم يبد أى محـاولة لوصلها .. فقد غرقت ابنتى فلم يعزنى بكلمة مع أن (لامرتين) كتب الى يقول « حاول أن تدخل عبر هذا الجرح العريض » . ولم يكف سانت بيف ذلك بل برهن على صغر نفسه وقلة ذوقه بأن نشر بعد قليل من وفـاة ابنتى مجموعة شعرية تشتمل على قصائد عاطفية يروى فيها حبه لأديل حشا أكثرها بالأكاذيب فكان لنشرها فى نفس زوجتى أسـوأ الأثر اذ أخذت السنة الناس تلوك عرضها .. ومع كل هـذا عندما جاءنى سانت بيف يرشح نفسه لعضـوية الأكاديمية قابلته مقابلة تليق بأى عضـو فى الأكاديمية وقد كان بوسعى أن أرفض قبوله ولكنى لم افعل رغم مواقفه . ولمـا القيت خطاب الترحيب به اثنيت عليه ثناء كبيراً .

● مسيو هوجو .. وان كنا لا نريد الدخول فى تفاصـيل ما قدمته الحركة الرومانتيكية وما اتجهت اليه من تجديد فى الفكر واتخذه انصـارها رائـدا لها فوضعت لها برنامجـا وحـددت اتجاهاتهـا .. وبالرغـم من تطبيقـك لمـا نادت بـه المدرسـة الرومانتيكية فى مسرحيتك كرومبل وامى دوبار فالاولى لم تمثل على المسرح والثانية لم تصادف نجاحا .. اليس كذلك ؟

ـــ هذا حق .. لقد تألمت كثيرا ومع ذلك فان فشلى هذا دفعنى لكتابة مجموعة أشعارى التى أسميتها الشرقيـات والتى حققت نجاحا عظيما .

● لقد قيل عند نشرك مجموعتك هـذه انك كشـفت عن ناحية غير مألوفة فى الشعر الفرنسى الا وهى كتابة القصـائد عن الشرق وسحره .. ويدفعنى ذلك لأن أستفسر منك كيف أمكنك ان تنظم قصائدك فى الشرق وتسهب فى شرح سحره رغم انك لم تزر الشرق ولم تراه .

— لقد استعنت بتلك المناظر التي شاهدتها في أسبانيا اثناء سفري اليها وبذكرياتي عن كتاب الف ليلة وليلة الذي اغرمت بقراءته في صباي ومشاهداتي لبعض اللوحات الشرقية التي عرضها صديقي الرسام (ديلاكروا كلومة) ومنها مذبحة كيبوس . وقراءتي لكتاب دليل السفر من باريس الى أورشليم لشاتوريان . . وكتاب الأغاني الشعبية لليونان الحديثة لفوريال وما كتبه المستشرق أرنست فونييه عن خفايا الشرق ومجموعة الأغاني الأسبانية (الروفسيرو) التي شرحها لي أخي أبيل وصديقي (أميل ديشان) . . من كل هذه القراءات تعرفت على الشرق وبلاد العرب واليونان والبلاد الخاضعة لسيطرة الأتراك فأمكنني ان أصور ذلك تصويرا صادقا قويا جذابا في شعري .

● **لقد صورت الحريم والقصور الشرقية ووصفت الحكام الشرقيين وما اشتملت عليه حياتهم من حوادث الغرام والاستمتاع بالحياة والاستغراق في اللذات الحسية بجانب حوادث القتل والعنف . . لقد لمسنا سمو شعرك في قصيدتك (ضوء القمر) وروعته وجماله في قصيدتك عن مصر . . اما قصائدك عن اليونان فقد كانت من الروعة حتى كان تأثيرها عظيما في نفوس معاصريك . . فقد خدمت بقلمك وقصائدك الحماسة اليونانية . ولا ننسى لك قصيدتك التي شبهت فيها اليونان في ذاك الوقت بطفل شريد تائه يطلب المعونة ليواصل قتاله . . لقد اسميتها الطفل . .**

بالطبع يا مسيو هوجو يعوزنا الوقت كي نلقي الضوء على مؤلفاتك واشعارك ولكن هل يمكن ان نسالك ما الذي كان يميز شعرك ؟

— لقد نشرت أربعة مجموعات خلال الفترة ما بين ١٨٣٠

و ١٨٤٠ بعد أن هجرت الكتابة الى المسرح بعد فشل تمثيل مسرحيته البرجراف . ففى (أوراق الخريف) أظهرت فيها ما كنت أشعر به من سعادة الحياة الأسرية وعذوبتها وما كانت تبعثه من ذكريات قديمة لذيذة كما كتبت قصائد حثثت فيها الأغنياء على الشفقة والرحمة بالفقراء . لقد كانت المجموعة مزيج من الآلام والأمال .. عن الغرور والطموح . أما فى (أغانى الشفق) فقد حوت بعض ما أكنه من محبة لزوجتى وعواطف ملتهبة نحو محبوبتى الجديدة جولييت . لقد حوت أيضا قصائد مجدت بها نابليون وعبرت عما أحسه وأشعر به من حب للنسر العظيم .. أما فى (المناجاة الغلبية) فقد كان أهمها القصيدة التى خلدت فيها ذكرى والدى ومآثره .. أما فى (الأشعة والظلال) فقد أخصصت بها والدى وشعورى نحوها بالحب وميلى الى ذكراهـا .

● نحن لا ننكر امتياز مجموعات شعرك الأربعة بجزالة الشعر ورصانته ورقته كما امتازت بجمال الأسلوب وعذوبة اللفظ وعظمة الخيال .. لذلك نرجو أن تقدم نصيحة لشعراء جيلنـا .

— يا عزيزى رسالة الشعر ليست النظم والغناء فحسب بل عليه أن يحث على العدالة ويدافع عن الحق ولو أدى به الأمر أن ينسى الحب والأسرة وعليه أن يثير الحماسة فى النفوس ويخوض ميادين السياسة ويعنى بالأمور الخلقية والاجتماعية .

● شاعرنا العظيم هوجو .. يقولون أن حياة الأديب الخاصة ملك له ومع ذلك حين نجد الصداقة بين أديبنا فكتور هوجو والممثلة (جوليت دروبيه) تمتد الى ما يزيد عن خمسين عاما فليس هناك من هو اقدر منك على القاء الضوء على هذا الحب العظيم .

ـــ جوليت حبيبة الروح والقلب .

● **كيف بدات قصة حبك مع جوليت ؟ ..**

ـــ حين مثلت مسرحيتي (لوكريس بورجيا) اسند دور الأميرة (نجروني) الى ممثلة شابة قبلته على صغره .. كانت هذه الممثلة هي جوليت في السابعة والعشرين من عمرها بارعة الجمال ذات شعر فاحم لامع وجسد رشيق متزن .. لم تكن حياتها خالية من المآسي الغرامية حيث تهافت عليها ذوي الجاه والثراء وكان أحدهم الأمير داميدوف . ولما راتني جوليت على المسرح في اثناء التمرينات تمنت أن تكون خليلة لي . اما انا وكانت نظرتي اليها أول الأمر نظرة عابرة سرعان ما تحولت الى عاطفة حب أذكاها اهتمامها بشأني في الوقت الذي نكبت فيه بعلاقة زوجتي بسانت بيف . ما أن انتهت التمرينات وبدأ تمثيل الرواية حتى كان التقارب قد ازداد وبدأنا نخرج للتنزه في الحدائق أو تناول الطعام في الريف وكثر تغيبي عن منزلي بحجة ان الحياة المسرحية وضرورة اشرافي عليها بنفسي بضطراني الى هذا التغيب . لقد احببت جوليت ونظمت فيها قصائد كثيرة أودعتها كل مكنونات قلبي . لقد ظلت حياتنا انشودة عذبة للهوى والشباب لم يكن ينغص حياتي معها سوى غيرتي العمياء عليها وامتعاضي من حياتها المسرحية وذكرى ماضيها . وصارحتها بذلك فتركت التمثيل وقطعت علاقاتها باصدقائها جميعا . وانقطعت الي ووهبتني نفسها وحياتها تزداد تقديري لها . مع الأيام اعتادت نمط حياتي وكانت تساعدني مساعدة فعالة في عملي . كنت اقضي عندها فترات طويلة في الكتابة على مكتب اعدته خصيصا لي كما كانت تنقل لي مسوداتي وتجمع لي الصحف والمجلات والمقالات التي تتحدث عني . لقد تفانت معي . لقد سافرنا معا الى (وادي بيفر) وقضينا بضعة أيام كانت اسعد أيام حياتنا بين الريف

البديع وأشجار الغابة وكنيسة الوادي الأثرية التي كثيرا ما ابتهلنا داخلها الى الرب ليديم حبنا . لقد كانت جوليت مصدر الهامي فكتبت مجموعتي اغاني الغسق والأشعة والظلال .. لقد سافرت معها الى شرق فرنسا والى ألمانيا عام ١٨٤٢ . لقد سافرت معها الى أسبانيا عام ١٨٤٣ في رحلة استغرقت ثلاث أسابيع استعدت فيها ذكريات طفولتي وما أن وصلت (ردشفور) حتى قررت أن أقضي في زيارتها أياما أشاهد فيها السجن والميناء ومبنى الفن .. وبينما أنا جالس في احدى المقاهي أتصفح جريدة وقع بصري على خبر ابنتي الكبرى (ليوبولدين) وزوجها (شارل فاكري) غرقا وهما في نزهة على نهر السين .. لقد قررنا مواصلة السفر الى باريس .. لقد خففت من أحزاني كثيرا .

● **الم تغضب منك جوليت يوما .. او بالأحرى الم تحاول قطع علاقتها بك .**

ـــ عندما أكلت الغيرة قلب (مدام بيار) وزين لها شيطان الغرام أن تستأثر بي وحدها أرسلت الخطابات التي كنت أكتبها لها الى جوليت وأفهمتها موقفي منها وطلبت اليها أن تبتعد عني وتفسح لها المجال فثارت جوليت وخيرتني بينها وبين عشيقتي الثانية ـ على حد قولها ـ فلم أتردد واخترتها هي وقطعت كل علاقة بمدام بيار .

● **ولما كان حديثنا للتاريخ يا مسيو هوجو .. فلابد لنا ان نذكر أن مدام بيار كانت زوجة للرسام الفرنسي ودعتك الى حضور حفلة تنكرية راقصة في حديقة دارها ولبيت الدعوة ورقصت معها وشعرت نحوها بميل شديد ووصفت حفلتها في قصيدتك الجميلة (حفلة عند تريزا) .**

ـــ وظللت عقب هذه الحفلة دائم الاتصال بمدام بيار

فبادلتنى هى ايضا حبا بحب وتطورت بيننا العلاقات الى ان افضى بنا الأمر الى التلاقى سرا فى منزل بشارع سان روك وأخذنا نتردد عليه .

● وعرف الزوج بتلك العلاقة المريبة بينكما وترقبكما حتى فاجأكما ذات ليلة ومعه وكيل الشرطة واقتحم باب المنزل بينما كنتما فى نشوة غرامكما فقبض وكيل الشرطة على مدام بيار وأودعها سجن (سان لازار) ولكنه لم ينل منك شيئا لتمتعك بالحصانة النيابية .

ـــ ولما صمم الزوج ان يرفع الأمر الى المجلس النيابى ليحاكمنى فلم يرض الملك بذلك واستدعى الرسام بيار وابتاع منه لوحة من ماله الخاص وطلب اليه التنازل عن حقه قبلى فأذعن الرسام طوعا لرغبة الملك .

● أما مدام بيار فبعد أن قضت مدة سجنها وأفرج عنها طلبت الطلاق من زوجها وظلت خليلتك .

ـــ لمدة ثلاثة أعوام بالاشتراك مع جوليت دروبيه .

● أليس هناك نساء أخريات فى حياتك ؟

ـــ تقصد الأميرة هيلانة (دوقة أوليان) .. انها اشاعة أطلقها الحاقدون حينما قدمنى الملك لويس فيلب اليها فى الحفل التى أقامتها بمناسبة افتتاح قصر فرساى فقالت لى أنها سعيدة بمعرفتى وأنها كانت ترغب فى التعرف على وقد تحدثت كثيرا عنى مع (جوته) وقرأت جميع مؤلفاتى وحفظت الكثير من أشعارى . كل ما أظهرته الدوقة كان اعجابها بى . وظللت مقدرا هذا الاعجاب باقيا على اخلاصى ووفائى لها رغم ما حدث من الانقلابات

السياسية وما أعقبها من نفيي وكرهي لجميع الأسرة المالكة . لقد تناثرت الشائعات . وخاصة كانت الأميرة هيلاته من المتوقع أن تتوج ملكة على فرنسا وكان ضمن خطة سياستها التي وضعتها تأليف وزارتها المستقبلة واختيارها جميع وزرائها من بين الكتاب والشعراء حتى أنها رشحتني للرياسة ووزارة الحربية . هذه هي الحقيقة فيما أشيع عن غرامي بالأميرة هيلانة .

● ان حديثنا عن مدام بيار والأميرة هيلانة قد أبعدنا عن تكملة قصة غرامك مع جوليت درويبه .

ـــ عندما نفيت خارج فرنسا اقمت ثلاث سنوات فى جزيرة (جرس) لم أكد استقر حتى أرسلت فى طلب زوجتي وأولادى وسرعان ما لحقت بى جوليت . واتخذت لها مسكنا بالقرب منى وكنت اتردد اليه كل مساء فاكتب فى غرفتها او أجتمع فيه مع باقى المهاجرين الفرنسيين . وكثيرا ما كنت اخرج بصحبتها للتنزه فى الحقول أو على شاطىء المحيط . وعندما أمرت بمغادرة الجزيرة وأبحرت الى جزيرة (جرنس) فى عام ١٨٥٥ اخذت زوجتى واولادى وجوليت معنا وسكنت منزلا قريبا من (هونفيل هوس) الذى اشتريته . ومن ذلك المنزل كانت ترقبنى فى شرفتى أمام لوحتى وفى أوقات فراغها كانت تفلح أرض حديقتها وتجمع الورد أو تصنع الفطائر وترسلها لى . وكانت تقابلنى بعد الفطور للتنزه معى قليلا على الشاطىء ثم نعود انا الى عملى وهى الى منزلها حيث تنسخ لى الصفحات التى أكون قد كتبتها فى الصباح وتنتظرنى الى أن أعود اليها ومعى أولادى أحيانا . وكثيرا ما جلست معهم على مائدتها لتناول الطعام . لقد قضينا زهاء ١٥ عاما أعجزتها فيها الهموم والأحزان والقلق والحب فهرمت قبل أوانها . ولما عدت الى باريس كانت جوليت تقيم معى فى منزلى الجديد بشارع (ايلو) لقد كنت فى الثالثة والسبعين من

عمرى . احاطتنى بحنانها وحبها العميق وشـــهدت معى الاحتفال العظيم الذى قامت به فرنسا تحية لى يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ لبلوغى الثمانين . كم كانت عظيمــة وفية مخلصة لى طوال هذه السنين حتى أصيبت فى آخر أيامها بمرض السرطان الخبيث الذى اخذ يضنيها شيئا فشيئا فاحتملت آلامه الشـــديدة بعزيمـــة جبارة حتى لا تؤلمنى .. لقد كان أشد ما كان يعذبها خوفها أن تموت وتتركنى وحيدا فى هذه الحياة . ولكن عذابها لم يطل فقد وافاها أجلها المحتوم فى ٢١ مايو ١٨٨٣ عن سبعة وسبعين عاما .

● **ما مدى حزنك عليهــا ؟**

ـــ كان موتها خسارة لا تعوض . فقد كانت بهجة شـــبابى وكاتمة أسرارى ودعامة شيخوختى ورفيقة حيـــاتى المخلصة . لقد بكيتها كثيرا وحزنت عليها شديدا وفارقنى بموتها نشـــاطى فكففت عن الكتـــابة والتـــاليف وزادت كآبتى ويـــدأت قوتى فى الاضمحلال فلزمت منزلى واعتكفت فيه حتى أصبت بالتهاب رئوى وشعرت بأن منيتى أوشكت أن تحين فودعت أصـــدقائى قائلا : ها هنا جهاد الليل والنهار .

● **ثم طلبت حفيـــديك وضممتهما الى صـــدرك تقبلهمـــا وتبكى . لقد قلت لهما ((اقتربا منى يا ولدى .. كونا سعيدين .. فكرا فى .. واقيما على حبى يا عزيزى)) .**

ـــ هذا ما حدث فعلا قبل أن أسلم الروح فى يوم الجمعة .

● **مهلا يا مسيو هوجو .. هل استاذنك فى ان تلقى الضوء على عاداتك وحياتك ؟**

ـــ كان لى قدرة عجيبة على التأليف تجعلنى أقف امـــام

منضدتى كل صباح .فأكتب ما لا يقل عن مائة بيت من الشعر أو عددا غير قليل من الصفحات النثرية هذا الى جانب عدد من الرسائل . ومع افراطى فى العمل ورغم تجاوزى السبعين كنت قويا نشيطا لم اشعر يوما بالتعب بل قد تدهش اذا قلت لك اننى لم أعرف المرض فى حياتى الطويلة اذا استثنينا مرضى بالالتهاب الجلدى عام ١٨٥٧ وتعب أعصابى عام ١٨٧٨ .. بل لم انقطع فى سنى هذه يوما عن نزهاتى الطويلة مشيا على الأقدام أو ركوبا فى المركبات المكشوفة غير مبال بالبرد يلفح وجهى أو المطر يتساقط على . لقد بقيت حتى أواخر أيامى ذا شهوة غريبة للطعام فكنت أخلط البيض باللحوم والخضروات والطيور والبطاطس وأجعلها جميعا فى صحفة واحدة واقطعها قطعا صغيرة بالسكين وآكلها متلذذا أقضمها بأسنانى الفولاذية .. لقد التهمت الكثير من حبات البرتقال وأكلتها مع قشرها وسط دهشة أحفادى وابتساماتى .

● مسيو فكتور هوجو .. لماذا نفيت من فرنسا وقد كنت اديبها المرموق صديق الملوك وحبيب الشعب .

ـــ كان ذلك عام ١٨٥١ حيث أعد لويس بونابرت العدة لقلب نظام الحكم الجمهورى والرجوع بفرنسا الى الحكم الأمبراطورى . لقد هجرته وحاولت بكل قواى اثارت الرأى العام ضد أرائه ومشاريعه متمسكا بالجمهورية الا أنه بمساعدة أعوانه تم الانقلاب وأصبحت فرنسا امبراطورية .. وبالطبع كنت أول قائمة المحكوم عليهم بالنفى . ومع ذلك كونت جمعية فى باريس تحث على عدم الاعتراف بحكومة لويس بونابرت وحقوقه واتهمناه بالخيانة والخروج على القانون كل ذلك كى تحدث ثورة لاعادة الجمهورية غير أن الحركة فشلت وطالب الامبراطور باعدامى فاضطررت الهرب من باريس ولجأت الى بلجيكا .

● **حيث كتبت روايتك نابليون الصغير عام ١٨٥٢ . هجوت فيها الامبراطور ذلك الهجاء الذى احدث ضجة فى بلجيكا واستاء شعبها وحمل حكومته على ان يسن قانونا بمحاكمة من يتعمد السب فى رؤساء الدول الأجنبية . فلم تنتظر وغادرت بلجيكا الى لندن التى لم يرقك كثرة ضبابها وشدة ظلامها فغادرتها لتستقر فى جزيرة (جرس) .**

ـــ التى أقمت بها ثلاث سنوات حيث أسست جريدة سياسية اشتركت فى تحريرها بمقالات عدائية على الامبراطور وهجوت ملكة انجلترا لأنها استقبلت امبراطور فرنسا غير أن أهالى الجزيرة ثاروا وكادوا يفتكوا بالمحررين وأمرت بمغادرة الجزيرة فى بحر ثمانية أيام .

● **وتوجهت الى جزيرة (جرنس) فى ٣١ أكتوبر ١٨٥٥ حيث قضيت فى الجزيرة ١٥ سنة كتبت فيها (التأملات) حيث نال نجاحا وشهرة وجاءك بثروة أتاحت لك شراء منزل كبير تفننت فى تأثيثه وجمعت فيه كثيرا من التحف النادرة وأسميته (هو نوفيل هاوس) .**

ـــ لقد كانت حياتى فى جزيرة جرنس خليطا من الحوادث المؤلمة والسعيدة فقد مرضت بمرض جلدى دعانى للتخلى عن عملى ثلاثة شهور .. ابنتى أديل الجميلة أحبت ضابطا انجليزيا وآثرت الهرب معه الى كندا عام ١٨٦٣ ولكنه هجرها وتركها وحيدة هناك مما أفقدها عقلها وأرسلت أخاها (فرنسوا) وأحضرها وعاشت التعسة مجنونة حتى وفاتها .. زوجتى أديل فوشيه مرضت وذهبت الى بلجيكا حيث عاشت مع ابننا (شارل) الذى تزوج هناك ولم تلبث أن فقدت بصرها وماتت بعد قليل بين ذراعى حين هرعت الى رؤيتها عام ١٨٦٨ .

● مسيو هوجو من المؤكد ان النفى قد رفع من قدرك واصبحت الى جانب سيطرتك من الناحية الادبية بطلا من ابطال السياسة فهل هذا حق ؟

— الى حد ما .. لقد حاولت أن أكون رمزا للحرية والاصلاح الاجتماعى والتقدم والرقى والثورة على الطغيان .. لقد بدأت عام ١٨٥٩ أن أظهر نشاطا سياسيا عالميا .. لقد بذلت نصائحى ووصاياى ليس لفرنسا فحسب ولكن للأمم والشعوب . لقد حرضت الايطاليين على توحيد صفوفهم وعلى الثورة لنيل الحرية . لقد ناشدت الولايات المتحدة أن تعفو عن (جون براون) لقد حرضت المكسيك على الصمود فى حربها ضد نابليون الثالث حتى النهاية . لقد وجهت نظر انجلترا الى سوء معاملتها ايرلندا ونصحتها بتوخى الحق ومراعاته لقد لمت جميع ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها لتخليهم عن مساعدة (كريت) . لقد أرسلت الى (جنيف) بمقالات طويلة أحث فيها على الغاء عقوبة الاعدام . وعلى العموم لقد طرقت كافة مجالات النشاط الفكرى والأدبى والاجتماعى والسياسى والحمد لله كنت موضع التقدير والتعظيم والاجلال .

● ما هى (حكايتك) مع مناجاة الأرواح وتحضيرها ؟

— فى احدى زيارات مدام (دى جيرار دان) لجزيرة جرس زارتنى فى دارى ودار النقاش حول موضوع الأرواح وكى اقضى وقتا للتسلية سمحت لها أن تقوم باجراء تجربة أمامى فأحضرت منضدة مستديرة وجلست وبجوارها شارل وأديل ووضعوا أيديهم عليها وأخذوا يناجون روح (ليوبولدين) ابنتى التى غرقت منذ اكثر من عشر سنوات . فتخلخلت المنضدة واهتزت وحضرت روح ليوبولدين تحدثنا بتفاصيل حادثة غرقها وكانت التفاصيل

دقيقة بحيث أبكتنا جميعا . ومن هنا آمنت بالأرواح وتعلمت من مدام دى جيرار طريقة استحضار الأرواح .

● من من الشخصيات استحضرت أرواحها ؟

ـــ فولتير .. دانتى .. راسين .. شكسبير .. أفلاطون .. اشيل .. اندريه شانييه . لقد كانت أرواحهم تتحدث بالشعر والغريب أن أشعار هؤلاء كانت تشبه أشعارى تماما وأن نظرياتهم الفلسفية هى نظرياتى بعينها .. ولم أكن أدهش لزيارة كل هذه الأرواح لى لأننى كنت إعتقد أننى أعرف أسرار الطبيعة وأدرك خفايا الكون .

● الواقع أن تحضير الأرواح لم يكن فى الواقع الا عملية نقل الأفكار وتبادلها فوسيطك كان ابنك شارل وهو حساس يتلقى أفكارك بسهولة ويعبر عنها تحت تأثيرك شعرا فتراها مطابقة لما كنت تتوقع وهذا ما خدعك .

ـــ قد يكون ولكن المهم لقد كان أثر تحضير الأرواح فى وفى ولدى سيئا للغاية فتملكتنا أوهام رؤية الأشباح ليلا أو سماع طوافها وحديثها حتى أنها انعكست على قصائدى التى نشرتها فى مجموعة التأملات .

● مسيو هوجو .. ماذا عن روايتك البؤساء ؟

ـــ لقد بدأت التفكير فى تأليفها عام ١٨٢٣ وباحثت الناشر فى موضوعها عام ١٨٣٠ وعدت اليها عام ١٨٤٥ وكتبت منها جزءا كبيرا وكدت انتهى منها لولا ثورة ١٨٤٨ التى أرغمتنى على التوقف عن اتمامها فترة طويلة الى أن كان عام ١٨٦٠ . وقد رأيت أن

نفى سيطول فانكببت على الكتابة من جديد . وكانت أفكارى قد تغيرت وتطورت نتيجـة تجاربى السياسية والحوادث الاجتماعية التى طرأت على نظام فرنسا . لقد أحدثت تغييرا بينا فى أوضاعها وتوسعت فى أبوابها فأصبحت خمسة أجزاء وكان عنوانها البؤس فأصبح البؤسـاء .

● هل لك ان تعطينا وصفا لاحتفالات باريس بك عندما بلغت سن الثمانين ؟

ـــ كان ذلك على التحديد يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ فقد أقيم قوس النصر فى شارع (ايليو) وقـام شعب باريس باستعراض تحت نوافذ بيتى وأرسـلت المدن والمقاطعـات وفودهـا العديدة وكذلك حضر رئيس مجلس الوزراء (جول فيرى) مع حكومته لتحيتى ووقفت فى النافذة المفتوحة مع حفيدى جورج وجان غير عابىء ببرد الشتاء القارس لأرى طوال النهـار مرور موكب المعجبين الذين بلغوا ستمئة الف نسـمة . وقامت على الرصيف اكوام الزهور وارتفعت كالتلال ـ كم كنت سعيدا لأن الأقدار قد ارادت أن تمحو بعض الذى أصابنى من الألم خـلال اغترابى تسعة عشر عاما كانت أعواما مرهقة لى غبت فيها عن وطنى الذى تغنيت فيه بروائع خالدات من شعرى فجـاء هذا اليوم يؤكد عرفان فرنسا بالجميل . وتعويضـا عما لحقنى من غصص الاغتراب . لقد كانت لفتة كريمة أن سموا شارع (ايليو) باسى وعندما دخلت مجلس الشيوخ وقف أعضـاؤه جميعا واكتفى رئيس المجلس (ليون سى) بأن قال اقد حضر العبقرى الجلسـة . وحيـانى المجلس بالتصفيق . هذا ما رأته عيناى فى حياتى ولكن لا أدرى ماذا حدث بعد وفاتى فى يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٨٥ .

● لقد قرر مجلس بلدية باريس أن تدفن فى (البانتنون)

كما قررت الحكومة الاحتفال رسميا بتشييع جنازتك وأن يعرض جثمانك تحت قوس النصر لتحييك الجماهير فشيدت منصة كبيرة وضع عليها تابوتك الضخم وزين القوس وكسى بالحرير الأسود وقد كتب عليه عناوين مؤلفاتك وكانت الاعلام السود المزينة بالنجوم الفضية ترفرف على جوانبه • وأضيئت حول القوس مائتا شعلة ليلا ونهارا وقام بالحراسة فريقان من الفرسان المدرعين وتوالى مرور الجماهير أمام القوس لتحيتك طوال النهار والليل • فى أول يونيو دوت احدى وعشرين طلقة معلنة بدء الاحتفال بتشييع الجنازة •

— كل هذا ولم تشيع جنازتى بعد •

● لقد حضر ممثلو الحكومة والهيئات المختلفة وممثلو الدول الأجنبية وبدأ الخطباء يتناوبون تأبينك فالقى كل من رؤساء مجلس الشيوخ والنواب وبلدية باريس ومجلس السين العام ووزير المعارف وممثل الأكاديمية الفرنسية كلمة بليغة عنك ، وفى منتصف الساعة الثانية وضع جثمانك على العربة المخصصة للموتى الفقراء •

— كما طلبت فى وصيتى •

● فكان تناقضا عجيبا أن تسير أمام هذا الموكب الهائل تلك العربة المتواضعة وخلفها أعلام الدولة وعظماؤها وممثلو الدول الأجنبية ومحافظ باريس وكتيبة من الحرس وآلاى من الفرسان واحدى عشرة مركبة يجر كل منها ستة جياد تحمل أكاليل الزهور • ومر الموكب بشارع الشانزيليزيه وميدان الكونكورد فشارع سان جرمان وشارع سان ميشيل وشارع سوفلو • وكانت الجماهير التى تجاوز عددها المليون نسمة مجتمعة على الأرصفة

وعلى أسطح المنازل وشرفاتها ونوافـذها تنتظر مرور الموكب الذى كان مؤلفا من حوالى مائة ألف شخص . وفى الساعة الثانية وصل النعش أمام البانتنون فانزل عن العربة ووضـع أمام الباب الى أن مر الموكب بأجمعه من أمامك يحييك التحية الأخيرة وبعد ذلك وضعت فى قبرك لترقد رقدتك الأبدية .

— هل لى أن أسأل من كتب عنى بعد وفـاتى .. وماذا كتبوا ؟

● لقد كتب عنك كثيرون أذكر منهم اليوت م. جرانت١٩٤٦ وموروا ١٩٥٦ وجوانا ريتشارد سون ١٩٧٦ .. لقد كتبوا عن معرفتك بملوك فرنسا لويس الثامن عشر والملك شارل العـاشر والملك لويس فيلب ودوق أورليان ولويس بونابرت .. لقد كتبوا عنك باعتبارك أحد رواد الحركة الرومانتيكيـة .. لقد كتبوا عن تقلبك بين الأحزاب وتعيينك عمدة لدائرتك بباريس .. كمـا لم يتجاهلوا عودتك من المنفى الى باريس عندما اندلعت الحرب بين فرنسا والمـانيا واستقبال أهلها لك وتوصيلهم اياك الى منزلك فى ساعتين وهم يتغنون بناشـيد المـارسليز وبعض اشعارك .. لقد قيموا كتاباتك ولم يتجـاهلوا ما نشرتـه من مؤلفات وخاصـة ما كان منها خلال العشرة سنوات الأخيرة مثل أفعال وأقوال .. السنة الرهيبة .. قصة جريمة والبابا والرحمة الكبرى ومجموعة أشعارك التى أسميتها (الحمـار) التى هجوت فيها العلم والعلماء وكتاب الديانه والديانات الذى أظهرت فيه فلسفتك الانسانيـة المملوءة بالوهم والخيال لقد تناولوا باسهاب علاقاتك الغراميـة وكذلك طموحاتك فى أن تكون وزيرا أو رئيس جمهورية .. والكثير والكثير .. فقد كان يعوزنا الوقت لالقاء الضوء على كل حياتك التى امتدت الى ٨٣ عاما عاصرت فيها مختلف أنواع الحكم فى

فرنسا .. وآثارك الادبية التى تعد من أعظم آثار الأدب الفرنسى بل دعامة الأدب الحديث .

ونحن فى ختام اللقاء لابد ان نؤكد ان فرنسا قد فقدت بموتك شاعرا من أكبر شعرائها ومفكرا كانت له جولات وصولات فى حياتها الأدبية والسياسية والاجتماعية فتركت لها تراثا من اثارك مازالت فرنسا بل العالم اجمع يتداوله وسوف يتداوله على مر القرون ومدى الأجيال واذا كان لانجلترا أن تفخر بشكسبير ولايطاليا بدانتى .. وللألمانيا بجوته .. ولأسبانيا بسرفانتيس .. ولروسيا ببوشكين .. فمن حق فرنسا أن تفخر بك .. بشاعرها العظيم .

(فكتور هوجو)

● جريدة أخبار دمياط .

العدد ١٤٤٢ بتاريخ ٨٣/٦/٢٠ ، ١٤٤٣ بتاريخ ٨٣/٧/٤ ، ١٤٤٤ بتاريخ ٨٣/٧/٢٥ ، ١٤٤٥ بتاريخ ٨٣/٨/٨ ، ١٤٤٧ بتاريخ ٨٣/٩/٥ .



بتهـــوفن

١٧٧٠ - ١٨٢٧

شاعر الأنغام والآلام

كانت أعصـــابه أوتارا تهتز بالنغم لـكل ما فى الحياة لم يجد فى غير العمل سبيلا للسعادة • اسـم مشـــهور تسمع انغامه فى كافة أرجـاء العالم وتدرس موســيقاه فى المعاهـد وتعزف الحـانه فى الأوبرات والمسارح وينقلهـا الينا التليفزيون والاذاعـة وتتراءى صـوره وتماثيله فى المتاحف والمعارض ودور الفن وفى بيوت النـاس من كل جنس •• ذلك هو الموسيقار ((لودفيج فان بتهوفن)) تعالوا بنا نتعرف على ذلك الفنان المبدع •



● سالته عن مولده فاجاب :

ـــ ولدت فى بون يوم ١٦ ديسمبر ١٧٧٠ لأب كان يحترف الموسيقى والغناء الدينى ، وأم ابنة رئيس طهاة أرملة فراش عندما تزوجها أبى كانت تعمل خادمة .

● ماذا عن طفولتــك ؟

ـــ نشأت طفلا بين أسرة برقيقة الحال . أبى ادمن الخمر وكان يقضى معظم أوقات فراغه فى الحانات فاذا عاد الى البيت عاد صاخبا مرعدا مهددا متوعدا متلافا لكل ما يصادفه فى طريقه من أدوات البيت ثم لا يجد بعد ذلك من يفرغ فيه حمم غضــبه الا زوجه المسكينة وأنــا ذلك الطفل الصغير .

● متى بدأ استعدادك للموسيقى ؟

ـــ وأنــا لم أتجاوز الخامسة من عمرى بدأ والدى يلقننى أول درس فى البيانو لقد صمم أن يصنع منى عبقرية موسيقيـــة خاصة بعد أن ضاقت به سبل الرزق . أخذنى بالشدة والغلاظة . لقننى العزف على البيانو تلقينا هو القسوة فى أجلى مظاهرها .

فأصبحت لا أكاد أفارق تلك الآلة التى كنت أساق اليها قسرا . كان يدفعنى الى مزاولتها بالسوط والعصا معاملة لا حنان فيها وقسوة مجردة من الرحمة .

● حتى قيل أن انطباعات تلك الفترة أضفت عليك لونا لازمك طوال حياتك فشببت شاردا محبا للعزلة كتوما صموتا .. ولكن رغم كل الارهاق الذى عانيته فقد بلغت من المهارة فى العزف ما أثار الدهشة والاعجاب ، بل قيل أنك بززت أباك فى العزف وأنت لم تتجاوز التاسعة من عمرك .

ـــ الحقيقة أن والدى أسند أمر تعليمى الى غيره من المعلمين الذين تتابعوا على الواحد بعد الآخر وكنت أفيد منهم بقدر ما تسمح به حالة كل منهم حتى أننى لم أقف فى دراستى عند تلقى العزف فقط بل تجاوزته الى تلقى دروس فى قواعد الموسيقى والهارمونى حتى استطعت وأنا لم أتجاوز الثانية عشر من عمرى أن أؤلف ألحانا موسيقية مبتكرة وأنغاما جميلة مبتدعة . لما بلغت الثالثة عشرة من عمرى أخرجنى والدى من المدرسة وأنا لم أتجاوز مرحلة التعليم الالزامى . ومنذ ذلك الحين تتابع انتاجى الموسيقى حتى بلغ منزلة رفيعة وأصبحت رغم حداثة سنى لا أجارى فألحقت موسيقيا ببلاط مدينة بون .

● الذى أحاطك برعايته لعبقريتك وبعث بك الى فينا ((مملكة الموسيقى)) حيث يقيم فيها العالمان الموسيقيان ((هايدن)) و ((موتسارت)) كى تستكمل على أيديهما دراساتك الموسيقية .

ـــ حقا ذهبت الى فينا لأتلقى العلم على هايدن ولم أتوان فى تحصيل دروس على أيدى أستاذى الذى أعجب بى وقدرنى

غير أنني توهمت أن هايدن أهملني وأنه مشغول بمؤلفاته فتركته وقاطعته وذلك حين تفحص الموسيقار (شنيك) كراستي الموسيقية وأشار الى وجود أخطـاء أهمل هايدن تصحيحها حتى أنني قلت : أيهملني هايدن ولا يهم بتصحيح أخطـائي اذن فما الذى أرجوه فى ذهابى اليه اذا كنت لا أفيد منه شيئا . وانقطعت عن الاستمرار فى تلقى دروس على يديه .

● مهلا .. مهلا أيها الموسيقار بتهوفن .. ان هايدن لم يكن مهمـلا فى تصحيح هذه الأخطاء ـ كما تتوهم ـ وانمـا كان يعتقد أن كثيرا من النظريات والقواعد لم توضع الا لترشـد من لم يمنحهم الله موهبة خاصة وليس لها أن تقيد الأبطال والنوابغ . وأعتقد أن حداثة سنك حينذاك جعلتك لا تدرى هـذا التفكير الذى جاءت الأيام فيما بعد مؤيدة لرايه . فقد خولت لنفسـك بعد انفصالك عن هايدن بسنين قليلة حق الخروج على القواعد الموسيقية الموضوعة حتى أنك كنت تقول عندما تتعارض القواعد مع مؤلفاتك « اذا لم يكن هـذا مطابقا للقواعد والنظريات فالقواعد والنظريات هى الخطـأ اما انا فصح » .

ـــ لقد كنت أسبق عصرى فى التكنيك والتصـوير والادراك والفهم وعمق التعبير والمضمون .. ألم يقل عنى (موزار) عندما سمعنى لأول مرة اهتموا به فسيقيم الدنيا ويقعدها ان عاجـلا أو آجلا لقد قالوا عنى الطفل المعجزة .

● هل لنا أن نعرف بعض صفاتك وعاداتك ؟

ـــ أصحو قبل الفجر .. موسيقاى توقظ سكان البيت والشارع والحى .. كنت مرعبا لأصحاب البانسيونات فقد كنت أسكن فى أربع شقق مفروشـة فى وقت واحد . ليس هناك على

الأرض من يحب الطبيعة والريف والغابات والتلال كما احبها أنا . كنت أضرب تلاميذى الكســالى على أيديهم بالخيزرانة .. كنت مفرطا فى الحساسية فبالرغم من كرم وعطف وصبر وأدب الأمير والأميرة (ليشنوفسكى) اللذين استضافانى لفترة ما فى قصرهما فقد استأجرت خادما خاصا عندما سمعت أن مضيفى قد أمر الخدم بتلبية (دقات جرس غرفتى قبلهما) .

● مستر بتهوفن .. هل تسمح لنا ان نعرف المراحل التى مرت بها موسيقاك ؟

ـــ أعتقد أن موسيقاى وحياتى أيضا مرت بثلاث مراحل : الأولى عنــدما كنت فقيرا مجهولا معتمــدا على اعطـــاء دروس خصوصية للأغنياء أو العزف فى حفلات خاصة .. فى هذه المرحلة وضعت (السـوناتا) الرقيقة الملائمــة للعزف فى الصـــالونات حيث يستمع اليها الهواة والأغنياء .

● والمرحــلة الثانيـــة .

ـــ كانت ما بين عام ١٨٠٢ و ١٨١٤ . فى هــذه المرحلة ذاع صيتى ولمع اسمى فى كل أوروبا وأصبحت أتكسب من حفــلات مفتوحة للجمهور حيث ازدادت قوة الطبقة المتوسطة وظهر منهـــا جمهور يستطيع أن يعيش الفنان عليــه . كما كنت أبيع قطــع الموسيقى فى السوق الحرة . خلال تلك الفترة أنتجت الكثير من أعمالى ووضعت سيمفونياتى الثمانية وأوبرا فيدليو وافتتاحيات أجمنت وكوريولانس حتى أن الناس قد دهشت من اقبال جماهير الطبقة المتوسطة عليها كما دهشوا من قوتها الخارقة حتى وصفوها بأنها وحشية .

● **مهلا يا استاذ بتهوفن •• لاتنسى أن النقــاد قــد حملوا عليك •• فمنهم من قــال انك لا تتوقف عن معارضــة كل القوى السياسية الموجودة وأن عواطفك جمهورية وأن موسيقاك تدل على الجهل والابتذال فتنطوى على خطر ثقافى حتى أنهم طالبوا بمنع التلاميذ فى المدارس من دراسة موسيقاك فكانوا يحفظونها سرا •• وهذا ما حاولت أن أذكرك به .**

— برغم ما قال النقاد فقد نجحت موسيقاى لأنها كانت تعبر عن روح العصر •• لم تكن واهنة تلائم حفــلات الرقص فى القصور ولم تكن حزينة اليمة خائرة تعبر عن الأسف على انقراض العهد القديم بل كانت قوية بطولية جارفــة مليئة بالمعارضــات السريعة العنيفة فى جو يؤكد أن التغير ضرورى ومفيد .

● **وماذا عن المرحلة الثالثة من موسيقاك ؟**

— هى التى بدأت سنة ١٨١٤ حتى وفاتى •• لم انتج السيمفونيات لمدة أحد عشر عاما كاملة ثم أخرجت السيمفونيــة التاسعة وكانت الأخيرة .

● **هل هناك سبب لاحجامك عن تاليف السيمفونيــات لمدة احدى عشر عاما ؟**

— خلال هذه الفترة •• هزم نابليون •• عادت الملكية الى فرنسا •• تعرضت أوروبا لموجة رهيبة من الرجعية •• امتلأت العواصم ومنها فينا بالجاسوسية والارهاب وانصب الاضطهاد على رؤوس الزعمــاء المتحررين وفى هــذا الجو يستحيل القــاء تلك الخطب الموسيقية العامة فتحولت مرة أخرى الى (السوناتا) التى كانت موسيقاها تملأ الناس برغبة المقاومة والعناد والايمــان بالحيـــاة .

● **هـل من امثلة دون ادخالنا فى متاهـات المصطلحـات الموسـيقية ؟**

ـــ نعم .. فمشاعر الحب فى قطعة (ضوء القمر) لا نجد فيها أثر الحزن والاستعطاف وهو صـورة الحب القديم بل هى مزيج من الحنان والفرح .. كذلك النغمة البطيئة التى صـورت بها مشهد القبر فى روميو وجوليت لا أصف فيها قبول الموت بل الصراع من أجل الحياة لا أضع فيها نواحا بل استشهادا بطوليا عظيمـا .

● **متى وضعت السيمفونية التاسعة ؟**

ـــ وضعتها عندما لم تعد الروح الديمقراطية الملتهبـة تملأ صالات الموسيقى لقد ختمتها بنشيد جماعى عن الأخوة والانسانية والسـلام .

● **هلا حدثتنا عن احدى سيمفونياتك وياحبذا لو كانت السيمفونية الثالثة ؟**

ـــ تقصد (ايرويكا) التى مجدت فيها البطولة . لقـد اعتزمت أن أتقدم بها الى نابليون بعد أن تبينت المبادىء الجمهورية التى قامت عليها الثورة وأعجبت بها وتحمست لأفكارها وما أن انتهيت من اللحن حتى فوجئت بأن نابليون قد ألغى الجمهورية وأعلن نفسه امبراطورا على فرنسا وكان هـذا مخالفا لمبـادىء الثورة التى جعلت السـلطة للشعب . لذلك تغـيرت نظـرتى لنابليون .. رأيته انتهازيا طامعا لم أره بطلا لذلك قررت تمزيق اللحن لولا أن انتزعه منى أصـدقائى بالقوة . لقد غيرت عنوانها الى « سيمفونية البطولة فى ذكرى انسان عظيم » . وعندما مات نابليون قـلت عن لحن المـارش الجنـائزى وهو جـزء من تلك السيمفونية « لقد كتبت هذه الموسيقى لتلك المناسـبة » .

● **يقولون انك اول من ادخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية ؟**

— نعم فقد استخدمت بعض أشعار (شيلر) فى الحركة الأخيرة من سيمفونيتى التاسعة المعروفة بالسيمفونية « الكورالية » .

● **بالطبع يعوزنا الوقت لو طلبنا اليك أن تشرح لنا الفرق بين السيمفونية والكونشرتو والسوناتا والأوبرا .. لذلك سوف نكتفى بأن تبين لنا أشهر اعمالك .**

— سيمفونية البطولة (أرويكا) الخامسة (القدر) - كنشرتو الامبراطورى « بيانو » كونشرتو الكمان - سونتا باتينيك - القداس - أوبرا فيدليو .

● **اذا كان ما أوضحت هى مؤلفاتك الخالدة .. اذن فكم كان عدد مؤلفاتك ؟**

— ٣٢ سوناتا للبيانو - ١٠ سوناتا للتشيلو والبيانو - ١٠ سوناتا للكمان - ٥ سوناتا للتشيليو - ١٠ ثلاثى للكمان والتيشيليو والبيانو - ١٤ رباعى - ٩ سيمفونيات - ١٥ كونشرتو للبيانو - كونشرتو للكمان .

● **ما هى أقرب السيمفونيات الى قلبك ؟**

— كانت السيمفونية الثامنة .. فهى تروى قصة يوم فى حياتى .. وتثبت حلاوة طبيعتى وطيب عنصرى وسماحة خلقى .. رغم كل ثوراتى وشطحاتى .

● **هل تزوجت يا مستر بتهوفن ؟**

— لم أتزوج برغم الاشاعة التى زوجتنى عام ١٨١٠ من

« تريزا مالفاتى » ابنة احد كبار الملاك .. وليس معنى أننى لم أتزوج انه لم يكن لى قصة حب أو غرام .

● نحن نعلم أن حياتك مليئة بقصص الحب والغرام .. بل تكاد رسائلك تفضح علاقاتك الغرامية مع المغنية « ماجدلينا ويلمان » والمغنية « أماليا سيبولد » و « أنا مارتى أرودودى » .

ـــ والكونتيسة « جوليتا جوتشاردى » والكونتيسة « تريزا فون برونزويك » وجوزفين دايم .

● ما دمت قد ذكرت هؤلاء فياحبذا لو اوضحت مدى علاقتك بكل منهن .

ـــ الكونتيسة جوليتا جوتشاردى كانت لعوبا شديدة الأنانية وبعد سنة من حبى الطاهر المخلص لها تركتنى وتزوجت الكونت جالنبرج لقد كانت خيانتها طعنة قاسية أصابت بها شغاف قلبى . ومن المؤسف أنها لم تكتف بذلك بل حاولت استغلالى لفائدة زوجها . أما الكونتيسة تريزا برونزويك فقد كنت أعرفها منذ أيامى الأولى فى فينا فقد كنت أعلمها البيانو ولم يخطر فى بالى أن أحبها . كما كنت أتصل بأخيها الكونت فرنسوا بصداقة متينة . فلما تزوجت جوليانا بعد ذلك بثلاث سنين زرت صديقى القديم فى مارتنفاز بالمجر والتقيت بتريزا وجلست الى البيانو أعزف بعض الحانى فى ضوء القمر ثم لعبت أغنية سباستيان باخ « ان شئت أن تهبينى قلبك فليكن ذلك أول الأمر خفية حتى لا يستطيع أحد أن يحس مسارح أفكارنا المشتركة » . فى صباح اليوم التالى تقابلت معها فى الحديقة وقلت لها اننى أكتب أوبرا بطلتها فى دخيلة نفسى وأراها أمامى حيثما ذهبت واينما اقمت وما أحسبنى سموت يوما هذا السمو فكل ما أمامى ضياء وطهر ونور . لقد أدركت تريزا حبى لها . وخطبتها من اخيها وظللت الخطبة من ١٨٠٦ حتى ١٨١٠ أى أربع سنوات .

ومع الأسف هـذه الخطبـة انفصمت وان لم تنفصم عروة الحب بيننا حتى وفـاتى فى عام ١٨٢٧ وكما قيل أنها ماتت فى ١٨٦١ وهى ما تزال على عهدى وحبى .

● اذا كانت تريزا برونزويك قد احبتك هـذا الحب الكبير فلماذا لم تتزوجك ؟

ــ لا أدرى وان كان قد قيل أن فقرى واختلاف مكانتى الاجتماعية مع مكانة تريزا .. كما أيضا قد يكون طبعى الحـاد القاسى الذى لا تهون الحياة الأسرية معه .

● أراك تحاول ان تهرب من ذكر حبك المتبادل ورسـائلك الملتهبة مع الكونتيسة « جوزفين دايم » .. الانها قصـة غرام كانت خافية وغريبة لأن هـذه كانت الشقيقة الصغرى لحبيبتك وخطيبتك خلال اربع سنوات .. واقصد بها الكونتيسة تريزا .. على كل حـال لقد نشرت بعد وفاتك مجموعة كبيرة من خطابات الغرام التى كنت تكتبها لها .

ــ الحب رضينا أو أبينا هو سيمفونية خالدة .

● لقد لاحظت يا مسـتر بتهوفن أن معظم غراميـاتك مع نساء شهيرات اما بعراقة الأصل واما بوفرة الغنى الى جـانب الصبا والجمال والتذوق الفنى فهل لهذا سبب ؟

ــ شعورى بالتفوق واحساسى بروعة انتاجى وذيوع صيتى وانسياب المـال بين يدى .. الى جانب مشاعرى الشابة وخفقان قلبى وشاعرية موسيقاى كل ذلك دفعنى للارتباط بمشاعر الحب مع كثيرات من النسـاء الشهيرات الجميلات .

● من من هؤلاء الحبيبات اللاتى ذكرتهن أثرت فى حياتك والى اى مدى ؟

ــ بالطبع تريزا برونزويك كان لحبها الأثر الواضح فى موسيقاى .. فاللحن الرابع الذى كتبته فى أول أعوام الخطبة زهرة تتضوع بشذا السكينة والخلود الى صفو العيش مع الناس .. كذلك الألحان التى كتبتها فى فترة الخطبة كانت أقل ثورة وأكثر ترنما بنعمة الحب والحياة ومنها لحن الريف بأغاريد بلابله وأطياره واغنيات شبانه وفتياته وقد تدهش لو عرفت أن أثر هذا الحب لم يقف عند انتاجى الموسيقى بل تعداه الى حياتى الخاصة فجعلنى محبا للتأنق فى الملبس وميالا للاختلاط بالناس والتحدث اليهم حاضر النكتة ظريفا حتى أن الناس نسوا صممى ولم يلاحظوا الا ضعف بصرى .

● الم تربطك علاقة حب أو اعجاب مع ((بنيتا برنتانو)) ؟

ــ تقصد صديقة الشاعر جيته .. لقد كانت سيدة مشهورة أثرت فيها موسيقاى فبعثت لجيته رسالة تصف فيها عظمة الحانى .. لقد كتبت له : ليس فى العالم ملك ولا امبراطور له مثل شعوره بقدراته لما رأيته انمحى الوجود كله من أمامى . ولقد أنسانى بتهوفن العالم وانسانى اياك أيضا يا جيته » .

● مستر بتهوفهن .. يقال انه كان لك بعض التصرفات الشاذة التى أرجع الأطباء اسبابها الى امراضك .

ــ تقصد ما كان يقال عنى بأننى مندفع .. متهور .. نزق .. سريع الغضب والانفعال والتهيج .. نزاع الى الشك والارتياب .. كثير النسيان والاهمال .. مكتئب جزع .. موسوس .. متقلب المزاج .. غامض متناقض .

● كفى .. كفى .. يا موسيقارنا الخـالد .. فرغم صفاتك الظاهرية فقد كنت فى أعماقك مخلصا بسيطا .. ديمقراطيا عبقريا شامخا . وان ما ذكرته من صفات قد يكون سببها غراميـات فاشلة أو حياة أسرية قاسية بدأت مع الطفولة .. أو عاهة الصمم التى حلت بك وانت فى قمـة مجدك وحار الطب فى أمرك وعجز عن انقـاذ سمعك فالجاك ذلك الى الانزواء والتفكير فى الانتحار .. وقد يكون للأمرض الكثيرة انعكاساتها على تصرفاتك .

— قولك هذا حق .. وبريح صدرى فقد كان الصمم وأنا لم أكمل الثامنة والعشرين من عمرى هو سر بلواى وتصرفـاتى الشـاذة .

● يقولون يا مستر بتهوفن انك كنت شديد الديمقراطية متمسكا بعراها تعتقد أن الناس سواسـية لا فرق بين من شرفتهم الألقاب الفخمة ومن شرفتهم الطبيعة بمواهب خاصة .

— حتى أننى كنت أرفض أن يفضـل على فى أى مجلس أمير أو شريف بل كنت شخصـية جبارة تشق طريقهـا فى الفن والحياة دون أن أحفل بمن حولى حتى ولو خرجت فى ذلك عن حدود اللياقة والأدب .

● لعل ذلك يجرنا للاستفسار عما أغضبك من (جيتـه) وياحبذا لو وضحت موقفك منه .

— ذات مساء ونحن فى طريق عودتنا أنا وجيته من نزهة تقابلنا مع العائلة المـالكة كلها وكنا قد رأيناهم من بعد فانتزع جيته نفسه من ذراعى ليقف على حافة الطريق وحاولت أن أزحزحه عن موقفه فلم يرض . عند ذلك زررت سترتى ووضعت قبعتى

على رأسى وسرت ذراعى وراء ظهرى ووسط الجموع الكثيفة وافسح لى الأمراء والحاشية لى طريقا ورفع لى الدوق (رودلف) قبعته وكانت الامبراطورة أول من حيانى .. فالعظماء يعرفوننى .

● **وأين كان جيتـه ؟**

— لقد مر أمامه الجميع وهو فى مكانه على حافة الطريق منحن أشد الانحناء وقبعته فى يده . لقد لمته أشـد اللوم بعد ذلك ولم أغتفر له قط تصرفه .

● **لماذا هذا اللوم ؟**

— لأننى كنت أعتقد أن اجتماع رجلين مثلى أنا وجيتـه يوجب على هؤلاء أن يحسوا بعظمتنا فالملوك والأمراء قد يخلقون المستشارين ويفرقونهم فى الرتب والألقاب ولكنهم لا يستطيعون أن يخلقون عظماء الرجال وخاصة من يسمون بأذهانهم .

● **على كل لم ينس لك جيته هـذه الاساءة فقد قـال لأصدقائه أنك شخصية لا سبيل الى تالقها وهو يعذرك ويشفق عليك لأنك (أصم) . ومع ذلك فكراهيته لك لم تمنعه من الاعجاب بألحانك حتى أنه قال هـذا بديع وعظيم وفوق العقل وذلك حين غلبه اللحن وجماله .**

— لقد توخيت أن تضم أعمـالى الموسيقية الى العمق ذلك الاحساس بالكمـال فى بنائها جميعا . ان الكثير من ابداعى الفنى ظل عميق الأثر فى الأجيال التالية . فقد أطلت السيمفونية ووسعت مجالها وعن طريق قدرتى فى عرض امكانيات البيانو سـاعدت كثيرا على أن أجعل من البيانو أعظم الآلات الموسـيقية .. بل

لا اكون مغاليا اذا قلت أننى الذى ساعدت الموسيقى على أن تنتقل من مرحلة الكلاسيكية الى الرومانسية .. كما أننى الذى جعلت الأوركسترا أكثر عددا .. ولى الفخر ان أكون أول من وضع معالم الموسيقى الرومانسية . لقد لقيت أعمالى شهرة واسعة وجمهورا عريضا .

● من من الموسيقيين اثرت فيهم ؟

ـــ لقد كان أثرى عميقا على جميع الموسيقيين بل كان أثرى على عباقرة متنوعين فى مزاجهم وقدراتهم وألوانهم .. من هؤلاء برامز .. فاجنر .. شوبرت وتشايكوفسكى . كما اننى مهدت الطريق لظهور عباقرة آخرين مثل برليوز ومالر وريشرد اشتروس وكثير غيرهم .

● يقولون ان حبك لأخويك كان شديدا وكذلك لابن اخيك بعد ان مات أبوه .. فهل لك أن تميط اللثام عن هذه العلاقة فى صدق وشجاعة ؟

ـــ عندما ماتت أمى لم يعر المجلس الحسبى والدى اهتماما لأنه كان سكيرا مدمن مخدرات ضائعا . لذلك قرر المجلس أن أكون وصيا على اخوتى . لم أصدم فى والدى فقط ولكن كان أخواى يتبعانى ويبتزان الأموال من عرق جبينى دون أن أبدى حراكا . لقد شببت صبورا على أخطاء أسرتى واكسبنى ذلك اعتدادا وغلوا فى الفهم والادراك وبالرغم من اليأس الذى أصابنى بالصمم وتصورت أن يقفا هما الى جوارى .. مع الأسف كان أخواى يستغلان الحانى استغلالا ماديا ولم يكن يهمنى ذلك كثيرا لأن حبى الأخوى كان يتفق مع عظمة الفضيلة التى تفيض بها نفسى أناشيد وألحانا قدسية سامية . لقد اعتبرنى آخواى

مزرعة تستغل ومورد رزق فياض . فقد كانا يتفقان مع الناشر على بيع الحـانى ويتقاضون الثمن ويتركون لى القليل بما يسـد الأود . لقد جعلوا حياتى مملوءة بالهم والنكد والفقر . ومع الأسف مات اخى (جاسبار) وترك لى ابنا احببته بقوة وشغف ولكن سار الفتى سيرة سيئة ولم يستمع الى نصحى واستدان كثيرا ومن فرط حبى كنت اسدد ديونه . وسافرت لأبحث عن وسيلة اوفر بها مستقبله فلما عدت أصابنى برد شديد ولم يكن أحد من أصدقائى حاضرا ليعنى بى فكلفت ابن أخى هـذا أن يبحث لى عن طبيب فنسى مدة يومين ثم جاء الطبيب وعالجنى علاجـا سيئا أودى بحيـاتى .

● **لقد كانت وصـيتك التى عشت بعد كتابتهـا أكثر من خمسة وعشرين عاما وكذلك مذكراتك ورسائلك للأصـدقاء تعكس ما فى نفسك وحياتك بحلوها ومرها فهل لنا ان نعرف ماذا كنت تكتب للأصـدقاء ؟**

ــ كان ضمن أصدقائى المقربين دكتور (وجلر) صـديق صباى فى مسقط رأسى .. لقد كتبت له الكثير عنـدما أحببت جولياتا ، وكذلك صـديقى (أمندا) الذى تمنيت أن يكون الى جانبى عندما أصابنى الصمم .. الكونت فرنسوا برنزويك الذى كان صديقا قديما لى والذى خطبت شقيقته تريزا فيما بعد .. لقد كانت رسائلى اليهم قطعا من الأدب الصادق تعكس ما فى القلب من فرح وألم .. وما فى النفس من عـذاب وشـقاء .. وما لقيته فى حياتى من عقوق الأخوة وخيانة الحبيبات .

● **متى حلت بك عاهة الصمم ؟**

ــ فى الثامنة والعشرين من عمرى وأنـا فى قمـة مجدى .

وأنــا صــاحب صولجان النغم وشاغل عرش الألحان .. كم لاقيت بسبب هذه العاهة من عناءوهم . ويكفى أن تعرف اننى عجزت عن ادارة (أوبرا فدليو) عام ١٨٢٢ . فقد كانت عصــاى بطيئـة وكانت الآلات الموسيقية بطيئة معها لكن المغنين لم يكونوا يستطيعون اتباع هــذه الموسيقى وكانوا يسرعون وحصل اضطراب اضطر معه مدير الجوق العامل الى ايقاف التمثيل . مع الأسف الشــديد عندما أصبت بالصمم التام فى أواخر الأربعينات من عمرى لم أعد اذهب الى الحفـلات الموسيقية وانسحبت اجتماعيا واصبحت اعمالى أقل وأكثر صعوبة حتى لم يعد من السهل فهمها واصبحت اؤلف موسيقاى لنفسى أو للأجيال القادمة .. اليس عجيبا حقا ان اعمالى التى ابدعتها وأنا أصم تعد أروع وأعظم من كل ما فاضت به قريحتى . لقد حاولت التغلب على هذه العاهة فلم أستطيع .. لم أستطع أن أقول للنــاس ارفعوا الصــوت لانى اصم .. وكيف أستطيع أن أذيع ضعف حاســة كان يجب أن تكون عندى أقرب الى الكمال منها عند الآخرين .. حاســة كانت فى المــاضى بالغة من الصحة حدا لم يتح لقليل من أبناء فنى أن يبلغوه .. أى مذلة آن أرى رجلا على مقربة منى يسمع قيثارة من بعيد وأنــا لا أسمع شيئا أو يسمع غنــاء الراعى ولا أسمع أنا شيئا .. لقد قاربت التجارب بينى وبين اليأس حتى كدت أقضى بيدى على حيــاتى لكنه الفن .. نعم هو وحده الذى استبقانى .

● **هل كان الصمم هو المرض الوحيد الذى اصبت به ؟**

ــــ لقد بدات الأمراض تهاجمنى منذ صباى بحمى نجم عنها ربو وشعور بالكآبة دفعنى الى ملازمة الصمت كثيرا . تعرضت وانــا فى الثلاثينات من العمر لهجمــات آلام ناجمة عن تقلصــات فى القولون واسهال شديد عانيت منهما حتى آخر حياتى .. اما سنواتى العشر الأخيرة فقد اصبت بالصمم واصبحت ـ اسمع

بعقلي خلالها ــ قبل وفاتي بسنين قليلة عانيت من التهابات جلدية اضطرتني لعمل قناع والتهابا في الغشاء المخاطي وروماتزم وآلام شديدة في عيني وأذني وادت كل تلك الالتهابات الى التهاب شـديد في الكلى كان أهم أسباب وفاتي .

● **لقد كنت شجاعا .. ففي أيامك الأخيرة وأنت ملقى على مرتبة من قش مليئة بالحشرات وجسدك يقاوم في تحد مـاء ملوثا تشبعت به أنسجة جسـمك الذى يفرز خراجاته بدون وعي منك والنهاية تبدو قريبة استجمعت قواك في ارادة من فولاذ لتكتب بداية السيمفونية العاشرة ولكن لم يمهلك القدر فسرعان ما أصبت بتسمم دموى وتعفن عام تسبب فيه نفس الأطباء اللذين حاولوا تخليص جسدك من الاستسقاء ووافتك المنية في ٢٦ مارس ١٨٢٧ وانت في السادسة والخمسين وثلاثة اشهر وتسعة ايام .**

ـــ ما أريد أن يعرفه جيلكم أنني كنت ضحية تشخيص خاطيء في كثير من حالات مرضي .. فأنا لم أصب بالزهرى وأن استخدامي للزئبق لم يكن لعلاج الأمراض التناسلية بل كان لعلاج التهاب في أمعـائي والروماتزم .. وان ادمان الخمر لم يكن سبب اصابة كبدى .. وان ضعف العصب السمعي لم يكن سببه مرض الزهرى كما قال الأطباء في أيامي .. وقد لا يدرك البعض تلك الحقيقة بأنني لم أكن أبالي كثيرا بارتياد الحيـاة الجنسية الا في أكثر صورها رومانسية .

● **ان حقيقة امراضك أيها العزيز بتهوفن كانت موضـع سة الدكتور (ادوارد لاركن) الطبيب بمستشفى وست انتر راض العصبية .. فقد خلص هـذا الطبيب الى استنباط بة جديدة عن أمراضك تقول « ان أمراض الفنان العبقرى كانت ت حصانة ذاتية ولذلك تكررت أصابتك بالأمراض وصعب على**

أطباء تلك الأيام شفاؤك منها ويرجع ذلك الى أن جسـدك قد أصبح حساسا لبروتيناته الذاتية ونتيجـة لذلك فان رد فعل جسدك وتجاوبه مع الأمراض كان يخالف ما يحدث للأشخاص العـاديين عندما يصـابون بنفس الأمراض •• لأن قـدرتك على مقاومة الاصابة بالأمراض كانت قليلة الى حد بعيد •

ــــ تقصد بقدر ما حيرت موسيقاى العالم حيرت أنا أطباء عهـدى •

● **ما اقصد ان اقوله ان الأمر الذى تقطع به نظرية دكتور لاركين الجديدة عن حقيقة امراضـك أن جسدك العجيب كان يقاوم بطريقة يعجز عن فهمها الأنـام ويتحدى على مر الأيام كل حاد ومبرح وملح من الآلام •**

ــــ هل هناك كتب ومقالات تناولت قصة حياتى ؟

● **بالطبع فهناك كتاب ((حياة لودفيج فان بتهوفن)) لتاير، و ((بتهوفن وسيمفونياته التسع)) لجورج جروف ، و ((بتهوفن الرجل الذى حرر الموسيقى)) لشوفلر ، و ((أصعب الموسيقيين فهما)) وكتاب ((السنوات العشر الأخيرة فى حياة العبقرى الخالد)) لـمارتن كوير •• كما كتب عنك آلاف المقالات بكل اللغـات كما تسمع موسيقاك فى كل بيت مقرونة بالاعجاب والتقدير لشخصك•• يا شكسبير الموسيقى •• ملك الأنغـام الدرامية •• محرر الموسيقى شاعر الأنغام والآلام •**

ــــ كل هذا قيل عنى بعد وفاتى •

● **وقبل وفاتك ايضا •• الم تكرمك فينا عام ١٨١٥ بأن منحتك وسام (المواطن الفخرى) •• الم يجمع العازفون الذين**

عاصروك على انك أمهر عازف بيانو فى العالم واسموك عملاقا بين العازفين .. حقا لم تلق نصيبك الجدير بك من التقدير الا بعد وفاتك بسنين طويلة عندما أعيد اكتشاف موسيقاك الصعبة .

— ترى هل شيع أحد جنازتى .. أم دفنت فى صمت داخل قبر مهجور ؟

● لقد شيعك عند وفاتك ثلاثون الفا ، ولبست عليك فينا الحداد ، ودفنت فى مقبرة وارنج ومايزال قبرك الى اليوم فيها وعليه هذه الكلمة الوحيدة الخالدة ((بتهوفن)) .

ان روحك أيها الموسيقار الخالد الماثلة فى الحانك واناشيدك وعزفك ما تزال باقية وان مذكراتك التى تركتها للمؤرخين وما أودعته بها عن جميع حساباتك ونفقاتك بدقة مذهلة مازالت حتى الآن موضع دراسة وجدل .. والخطابات المتبادلة بينك وبين الأصدقاء والأحباب مازال يتناولها جيلنا وسوف تتناولها الأجيال بعدنا . لقد كنت ترى الموسيقى الهاما أسمى من الحكمة ومن الفلسفة وهل هناك أكثر من الموسيقى سحرا وقداسة .. وهل هناك أثر أخلد من موسيقاك أيها الموسيقار العبقرى

((لودفيج فان بتهوفن))

● جريدة أخبار دمياط

العدد ١٥٣٥ بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٦ ، ١٥٣٦ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٣٠ ، ١٥٣٧ بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٣ ، ١٥٣٨ بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٧ ، ١٥٣٩ بتاريخ ١٩٨٧/٥/١١ .

مـــارى كـــورى

١٨٧٦ – ١٩٣٤

امرأة لم يفسدها مجد الشهرة والنجاح

فى الفنون والآداب .. فى الطب والتدريس .. فى الصحافة والاذاعة .. حتى فى العلوم ورحــلات الفضاء حلقت (المرأة) كالفراشـــة لتثبت وجودهـــا وتحارب قضيتها .. لتسحق بشـــدة كل المحاولات الراميـــة لاقصـــائها او النيل منهـــا ليتربع الرجـــل (وحـــده) على هـــذه العروش . فضـــاعفت المرأة جهودها . وبرزت وتالقت وتفوقت فى كل مجال .. حتى ان التاريخ قد خلدها أيضا فى أكثر المجـــالات تعقيدا وهو مجـــال العلوم والطبيعة .

واليوم نقدم دليلا ملموسا فى مقابلتنا الخيالية

مع المرأة التى كان لتفوقها فى البحوث العلميــة أعظم الاكتشافات التى كان لها فضــل السبق فى تخفيف الآم البشريــة من مرض السرطان العضــال فدان لها الجميع بالعرفان وكانت (الوحيدة) بين العلمــاء من رجال ونساء التى حصلت على جائزة (نوبل) مرتين منذ انشاء هذه الجائزة وحتى الآن .

● **سالتها عن مولدها وطفولتها فاجابت :**

ـــ ولدت فى ٧ نوفمبر ١٨٧٦ فى وارسو عاصمة بولندا .
وكنت أصغر اربعة اخوات وشقيق لأب يعمل أســتاذا للطبيعة وام عذبها مرض السل الذى ترك ظلالا من الكآبة والياس والألم فى محيط أسرتنا وخاصــة أبى الذى كان يعذبه آلامها حتى اختطفها الموت فى الوقت الذى أحيل الى المعــاش وضاعت مدخراته من انفاق على أم مريضة ومغامرات تجارية خاسرة . فى هــذا الجو الكئيب حيوت طفولتى . لم يلهينى اللعب عن الدراسة وحب العمل فكنت الأولى فى جميع سنوات دراستى وامتزت بذاكرة قوية .

● **حتى قيل انك اذا استمعت لقصيدة مرتين تحفظيها عن ظهر القلب .**

ـــ هذا صحيح .. وانتقلت من طور الطفولة الى الشباب فى السابعة عشر من عمرى أصبحت فتاة جميلة متفوقة فى دراستى غير أن فقر أسرتى وان ترك أثره فى نفسى الا أنه لم يثننى د محاولة السعى .

● **فقمتى باعطاء دروس خصوصــية فى الحساب والجبر**

واللغة الانجليزية باجور زهيدة حتى تحققين حلم ذهابك الى باريس .

— الحقيقة لم أكن أفكر فى نفسى وانما كنت أريد مساعدة شقيقتى الكبرى (برونيا) التى كانت تعيش بأمل دراسة الطب فى باريس .

● **وهل أمكن بدخلك الصغير من الدروس الخصوصية تحقيق هذه الرغبة ؟**

— بالطبع لا .. لذلك قررت أن أشتغل مربية وتقدمت لمكتب التخديم ومعى شهادات أولياء أمور الطلبة الذين كنت أعلمهم الى المامى التام باللغات الألمانية والروسية والفرنسية والبولونية والانجليزية .

● **كل هذه اللغات .. اذن من المؤكد أنك حصلتى على العمل الذى تريدنه وبأجر مرتفع .**

— فعلا حصلت على العمل فى بيت محام ثرى . وانتقلت من بيتنا الهادىء البسيط لأجد نفسى أعمل مع أسرة رغم غناها الفاحش لا تدفع أجرى بسهولة ولا فى موعده . وكان من الضرورى أن أترك هذه الأسرة الى غيرها تلتزم بدفع الأجرة فى موعدها حتى أدبر المال اللازم لأختى التى تعيش على الكفاف فى الحى اللاتينى لكى تصبح طبيبة .

● **وقد وفقتى فى العمل عند ناس طيبين .**

— ان الحاجة والاضطرار يدفعان دائما لأن نتحمل الناس

ونصبر على تفاهتهم . غير أن الضرورة كانت تدفعنى دائمـــا للتنقل من بيت الى آخر يدفع أجرا أكثر حتى أنك قد تدهش اذا عرفت أننى سافرت الى بلدة تبعد مائة كيلو عن وارســو قطعتها بالقطار فى ثلاث ساعات ثم اربع ساعات على زحافة تتزحلق على الجليد كى أقيم وسط اسرة واســعة الثراء تمتلك مصـــنع للســـكر .

● **يبدو أنك وجدت ضالتك المنشودة فى الاستقرار .**

ــ ليس كما تتوهم فأنا لم أكتف بتربية أطفال الأسرة بل قمت بتعليم أولاد العمــال القراءة والكتابة مجانا .. لقد وهبت نفسى للعمل .

● **فأحبك الجميع وخاصة ابن الأسرة الذى جاء لزيارتها فالتقى بك وأعجب بجمالك وعقلك وحب أهله لك وأحبك وتواعدتما على الزواج .**

ــ نعم ولكن أهله رفضــوا زواجنا لعدم التكافؤ . ولم يجرؤ هو أن يحمل أهله على تغيير موقفهم .. وغلبت العقل على العاطفة وأنهيت ما بيننا واضطررت للبحث عن أسرة أخرى تزيد من أجرى كى أحقق لأختى حلمها .

● **وتحقق أمل برونيا واجتازت امتحانها بنجاح .**

ــ وتقدم زميلها (كازيمير دلوسكى) وطلب يدها وارسلت الى تطلب منى وقف الاعانة وأن أحتفظ لنفسى بما أحصــل عليه من أجر حتى اذا ما تجمع لدى رصيد يؤهلنى للسفر الى باريس ودفع نفقات الجامعة ذهبت .

● **متى ذهبت الى باريس ؟**

ــ بعد أن أمضيت ثمانى سنوات منذ تخرجى من المدرسة

وبعد أن عملت مربيـــة ست سنوات متواصلة لأعين شقيقتى . كنت بلغت الرابعة والعشرين من عمرى عندما تلقيت من أختى دعوة عاجلة للذهاب الى باريس . اضطررت لأن اترك المنزل الذى عملت فيه مؤخرا رغم استقبالهم الطيب لى وتقديرهم وكرمهم . وعدت الى وارســو ومنها أعددت عدة الرحيل . وباختصـــار ركبت الدرجة الثالثة بالقطار وحملت معى احتياجات معيشتى من ملابس وسرير قديم وصندوق خشبى الى باريس .

● **هل يمكن أن تلقى الضوء على حياتك فى باريس ؟**

ــ ذهبت الى الســــوربون وانتظمت فى كليـــة العـلوم ومدرجاتهـــا . كنت أجلس فى الصـــف الاول وبجـــوار النافـــذة ولا يشغلنى الا الدرس والبحث .

● **لمـاذا فكرتى فى تغيير اقامتك وترك بيت شقيقتك فى باريس ؟**

ــ حتى اترك لشقيقتى شقتها الصغيرة وكى اوفر ساعتين من الوقت كنت أقضيها فى الذهـــاب والعودة الى الســـوربون . والكلام فى سرك كى اوفر اجر الأتوبيس وكى أجد حريتى ولا أتسبب فى مضايقة احد .. وتفتكر انـــا عشت فى غرفة واحدة على طول . بالعكس أخذت اتنقل من غرفة الى أخرى حتى استقريت فى غرفة فوق ســـطوح أعجبتنى لأن اجرها عشرين فرنكا وتتفق مع مواردى المحددة التى لم تزد عن مائة فرنك فى الشهر .

● **هل حققت أهدافك من دراستك ؟**

ــ بنجاح .. فقد ساعدتنى مكتبة (سانت جنفياف)

بكتبها القيمة على الدراسة الجادة وحصلت على ليسانس الطبيعة عام ١٨٩٣ وكان ترتيبى الأول وعلى ليسانس الرياضيات عام ١٨٩٤ وكان ترتيبى الثانية وفزت بمنحة (الكسندروفتش) وستمائة روبل هدية مكافاة البحث الذى تقدمت به .

● طبعاً حصولك على ستمائة روبل نقلك من حياة الكفاف الى حياة البذخ .

ـــ انت واهم ..لقد اعدت الستمائة روبل الى المؤسسة لأننى لا استطيع أن آخذ نقود إكثر مما احتاجه فعلا .

● كيف التقيت ببيير كورى ؟

ـــ جمعنا العمل . كان تفكيرنا مقصور على البحث العلمى وكلانا كان شغوفا بالعمل . التقينا فكريا وتبادلنا التقدير والاحترام وتفتحت العواطف وتوثقت الألفة والتفاهم وزادتنا العاطفة اقترابا .

● متى تزوجتما ؟

ـــ عندما فكرت فى العودة الى بلدى لأودى واجبى نحو اسرتى وكى أعيش فى الريف البولونى ولما بلغت (بيير) برغبتى هذه قال لى : ليس من حقك أن تهجرى العلوم .

● تهجرى العلوم .. أم تهجريه هو ؟

ـــ الحقيقة هو طلب يدى انما ظهرت فى محيطنا مشكلة .. كيف تتزوج فتاة بولونيا من شاب فرنسى . وفكرت أنى بالموافقة

على الزواج من بيير اصبح جحودة لأسرتي وخائنة لوطني وخصوصا بعد أن اجتزت امتحاناتي بنجاح وكان أن عدت الى وارسو وقضيت فيها ثلاثة شهور طويلة لم تنقطع خلالها خطابات (بييرى العزيز) .. تارة يطلب في اصرار أن يحضر للقاء أبي ويطلب يدى وتارة أخرى يكتب الى ليس من حقك أن تهجريني .

● **احسست من خطاباته أنه يناديك وبالطبع قررت تلبية نداء القلب .**

— وتزوجنا في ٢٦ يوليو ١٨٩٥ .

● **في حفل زفاف كبير ومأدبة عشاء فاخرة .**

— مهلا .. مهلا .. لا شيء أبدا مما تقول .. لا ثوب أبيض ولا خاتم زواج ولا مأدبة عرس ولا حفلة كنيسة .. لقد كان فستان عرسي صوف أزرق قاتم .. لقد تزوجنا بالسجل المدنى وقضينا شهر العسل في الريف على دراجتين مملوكتين لنا .. لقد كنا قلبين ينبضان بالحب وعقلين يلتقيان بالتقدير .. واستقرينا بعد الزواج في شقة صغيرة أثاثها محدود . أهم قطعة المكتبة وتربيزة المطالعة .. وأصبحنا واحدا في الحب وواحدا في العمل حتى رزقت بطفلتنا (ايرين) في ١٢ سبتمبر ١٨٩٧ .

● **هل عاقتك (ايرين) عن اعداد بحوثك ؟**

— لم يحدث فقد حصلت على الليسانس وفزت في مسابقة (الاجرجاسيون) وقدمت بحث في مغنطة الفولاذ المسقى ومع ذلك كنت أدير بيتي وأطبخ بنفسي وأحمى طفلتي وأرعى شئون بيير كزوج أيضا .

● مدام كورى .. كيف تمكن لك ولزوجك بيير كورى اكتشاف (الراديوم) مع الأخذ فى الاعتبار بقدر المستطاع الابتعاد عن المصطلحات العلمية المتخصصة والخاصة بهذا الاكتشاف العظيم .

ـــ اننى أعرف هدف برنامجك .. الثقافة للجميع وسأعمل على تحقيق رغبتك وتبسيط كيفية اكتشافنا للراديوم . فقد كنت أنا وبيير نعمل معا فى الجامعة ونستخدم معملا متواضعا للبروفسير (هنرى بيكربل) وذات يوم ونحن بالمعمل ترك هنرى لفافة بها كمية من أملاح اليورانيوم فوق احدى الالواح الفوتوغرافية فى الظلام واذا باللفافة تترك أثرا مطبوعا فوق اللوح ومن خلال الورق الذى يحوى اليورانيوم وظهر أن هذه المادة تبعث بأشعة من داخلها . افتت هذه الظاهرة نظر بروفسور هنرى فقام بفحص مادة المزيج الخام الذى يستخرج منه اليورانيوم ولاحظ أن هذه المادة لها تأثيرا فوتوغرافيا أقوى مما يتناسب وكمية اليورانيوم التى يحتوى عليها واستنتج أن المزيج لابد أن يحتوى على عنصر آخر وأن تأثير هذا العنصر فى الانطباع على اللوح أقوى من تأثير اليورانيوم وكنت واثقة أن الانطباع الذى حدث على اللوح يرجع الى وجود عنصر (مجهول) .

● وبعثتما انت وزوجك بالأمر الى العالم الروسى (منديليف) صاحب تقسيم العناصر الكيمائية .

ـــ فعلا .. وجاء الرد بأن مجموعة منديليف من العناصر الكيمائية لا تحتوى عنصرا آخر وعندئذ تركت أنا وبيير كل ما بأيدينا من أعمال وشرعنا على الفور نبحث عن هذا العنصر (الغريب) .

● **ان اجراء مثل هـذه التجارب لابد لها من معمل مستكمل المعدات .**

ـــ الحقيقة اننا استخدمنا مخزنا صغيرا فى بدروم مدرسة الطبيعة . لقد كان المخزن بمثابة مغارة رطبة تخزن فيها الأدوات المستهلكة . وكتبنا الى حكومة النمسا التى كانت تملك منـاجم خام اليورانيوم فى (سان جواكمستال) ببوهيميا وبعد أيـام قليلة وصل الى المعمل طن من هـذا الخام وعلى الفور بدأنا عملا جديدا وبحثا مرهقا . كنا نقضى ساعات النهار فى تحريك كتل اليورانيوم الخـام فى درجة الغليان بقضيب من حديد .. وفى وسط هذا الجو الخـانق والجحيم المستعر استمررنا فى العمل والبحث حتى أصبح طن الخـام نصف طن .. ومع الأيام وفى شهر يوليو ۱۸۹۸ تمكنا من عزل عنصر جديد تبلغ درجة فاعليته ۳۰۰ ضعف درجة فاعلية اليورانيوم .

● **هل كان هذا العنصر هو الراديوم ؟**

ـــ لا .. فقد اسميته (البولونيوم) قاصـدة بذلك ان اخلده مع اسم وطنى .

● **ولكن متى اكتشفت الراديوم ؟**

ـــ بعد خمسة وأربعين شهرا من الجهد العنيف والبحث المستمر والدراسة الجـادة المتواصلة استطعت ان اتأمل من خلال أنبوبة الاختبار حفنة ضئيلة من مسحوق ابيض كثيف يشبه ملح الطعام وتحقق الهدف الكبير وتم اكتشاف الراديوم فى عام ۱۹۰۲ وأعلنا نبأ اكتشاف العنصر الجديد الذى تبلغ فاعليته مليونى ضعف فاعلية اليورانيوم .

● **لقد كان اكتشافا عظيما واحدث دويا فى العالم كله .**

ـــ لقد انبهر العلماء فى العالم بهذا الاكتشاف العجيب الذى أدى الى علاج الأورام السرطانية وتناقلت أخباره الصحف وأجهزة البرق .

● **وبالطبع انهالت عليكما التقديرات المادية .**

ـــ اننا لم نكن ابدا من هواة جمع المال والا لحصلنا باكتشافنا الراديوم على أموال طائلة . ولكن ندرنا نفسينا للعلم والانسانية لذلك قرر (بيير) بالاتفاق معى ألا يحصل على اى نفع مادى من اكتشافنا .. فلم نسجله وقد نشرنا نتائج بحوثنا وكذلك تحضير الراديوم .. بل قد تدهش لو عرفت اننا أجبنا طلب كل من يهمه الأمر الى المعلومات التى طلبها خاصا بالراديوم .

● **لقد كنتما انت وزوجك بهذا العمل موضع التقدير والاحترام فتسابقت الدول فى تكريمكما وتقديم المساعدات والامكانيات اللازمة لكما .**

ـــ فعلا .. ففى سويسرا عرض على زوجى مركزا مرموقا فى جامعة جنيف .. انجلترا أرسلت دعوة رسمية من المجمع الملكى لكى نذهب لالقاء محاضرات فى الراديوم وتوالت اللقاءات فى المجالات العلمية والاحتفالات العامة والخاصة لتكريمنا .

● **لقد انهالت عليكما تقديرات الشرف .**

ـــ هذا صحيح .. فقد منحتنا الجمعية الملكية فى لندن ميدالية دايفى وهى ميدالية من الذهب الخالص حفر عليها اسم بيير واسمى .. فزنا بجائزة نوبل السويدية التى حملت الينا

سبعين ألف فرنك ذهبا .. أهدت جامعة باريس لزوجي كرسي الطبيعة في السوربون كما عينتني رئيسة قسم الطبيعة في كلية العلوم بجامعة باريس .

● **بعد أن أصبحتما على مسرح الشهرة والغنى هل حققتما السعادة ؟**

— الشهرة .. لقد حولت الشهرة حياتنا الهادئة الى ضيق .. ضيق بكاميرات المصورين .. ضيق بأحاديث الصحفيين ودعوات التكريم وحفلات الاستقبال .. أرجو الا تغفل أيضا ما جرته علينا الشهرة من الحقد والغيرة والحسد من الآخرين وخاصة من كانوا يعملون في حقل تجاربنا وهذه طبيعة البشر .

● **مدام كورى .. في حياة كل منا تواريخ لا نتجاهلها تحمل الينا ذكريات معينة .. ترى هل تذكرين تاريخا معينا فرض نفسه عليك على مدى الأيام ؟**

— الخميس ١٩ أبريل ١٩٠٦ تاريخ يبعث في نفسي الألم والعذاب .. فهو اليوم الذي لقى فيه زوجي بيير كورى مصرعه تحت عجلات عربة تزن ستة أطنان بينما كان خارجا من الكلية يعبر الطريق ساهما زلت قدمه فوق الأرض المبللة ومرت عليه العربة بجيادها فأردته قتيلا في الحال .. لقد كانت وفاته صدمة قاسية لي حتى أنني تمنيت أن تحملني احدى العربات التي ترتع في الطريق الى مصيره .

● **كيف تقولين هذا .. أين الايمان والعزاء ؟**

— الحمد لله .. الايمان والعزاء قاداني لأن أغرق نفسي

فى انهار ابحاثى حتى تلقيت فى ١٣ مايو ١٩٠٦ قرار مجلس كلية العلوم بتعيينى أستاذا فى الكرسى الذى كان يشغله زوجى بجامعه السوربون والذى كان يدر عليه عشرة الاف فرنك سنويا .

● اعتقد ان هذه كانت المرة الأولى فى تاريخ فرنسا التى يعهد فيها الى امرأة مركز هام فى التعليم العالى .. ترى هل كنت عند حسن الظن بك ؟

ـــ نعم فقد توليت مكان (بيير العزيز) دروسه وادارة معمله ووضعت نصب عينى أن اتمم أعماله واثبت وجودى وقد كان . انهالت على شهادات التقدير من دكتوراه فخرية وعضوية الأكاديميات الأجنبية ومنحتنى فرنسا وسام (اللجيون دونور) وفى ١٩١٠ نلت جائزة نوبل فى الكيمياء .

● الحقيقة حصولك على جائزة نوبل مرتين بقدر ما هو انتصار كبير للعبقرية بقدر ما هو انتصار عظيم للمرأة .

ـــ واليس انتصار للمرأة أن يحضر وفد من اساتذة بولونيا وعلمائها يدعوننى للعودة الى بلادى لأتولى مشروع معمل النشاط الاشعاعى وعندما ذهبت الى وارسو لأضع حجر أساس معهد الراديوم احتفلوا بى احتفالا كبيرا .. اليس انتصار للمرأة أن تدعونى جامعة برمنجهام لتقدم لى الدكتوراه الفخرية .. اليس انتصار للمرأة أن تقدم لى فرنسا ٤٠٠٠٠٠ (اربعمائة الف) فرنكا ذهبيا من الجامعة ومعهد باستير لتأسيس معهد الراديوم فى الشارع الذى أطلق عليه اسم زوجى بيير كورى فى الحى اللاتينى .

● اننا ندرك أن لك سجل شرف يحوى الكثير من الجوائز والأوسمة والألقاب .

ـــ بلا فخر .. عشرة جوائز دولية و ١٦ وسام دولى

و ١٩ دكتوراه فخرية من جامعات مانشيستر وشيكاغو وبنسلفانيا وكولومبيا وغيرها .. ٨٨ عضـوية شرفية فى الكثير من المحافل العلمية فى بريطانيا والمكسيك وجنيف وأمريكا وبلجيكا وبولندا وغيرهـا .

● **ولمـاذا نذهب بعيدا يا مدام كورى لندلل على عظمتك كامرأة عالمـة أثبتت وجودها كنموذج مشرف .. فمازال ماثـل أمامنا استقبالك فى امريكا ١٩٢٠ استقبال الفاتحين حيث قدمت لك فى نيويورك الجوائز والميداليات ومفتاح المدينة . وفى واشنطن أقيم لك الاحتفال الكبير الذى قدم لك فيه رئيس الولايات المتحدة (هاردنج) جـرام راديوم يقـدر بمائة ألف دولار حتى تتـابعى أبحاثك . لقد قدمه لك فى حضور الدبلوماسيين ورجال القضـاء والجيش واساتذة الجامعات . ترى هل يمكنك يا أستاذتنا الجليلة أن تذكرينـا ببعض ما قـاله الرئيس هاردنج فى خطابـه عنـد تكريمه لك ؟**

ـــ أذكر انه قال « لقد عهد الى أن أقدم لك هـذا القدر الضئيل من الراديوم ونحن مدينون لك بمعرفتنا له وتملكنـا اياه لذلك نقدمه اليك ونحن واثقون أنه وهو فى حيازتك لابد أن يكون وسيلة لتوسـيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس » . وتقدم منى هاردنج ووضـع فى يدى لفافة مربوطة بشريط مثلث الألوان ثم وضع حول عنقى قلادة من الحرير يتدلى منها مفتـاح من الذهب الخالص .. انه مفتاح خزانة جرام الراديوم .. ذلك الكنز الذى " يقدر بمـال .

● **هل كانت هدية جرام الراديوم من أصدقائك الأمريكان هى نهاية المطـاف فى الاحتفالات بك كعالمـة .**

ـــ بالطبع لا . . أليس هدية انتخابى عضوا حرا فى اكاديمية

الطب بباريس اعترافا بنصيبي فى اكتشاف الراديوم وفى عـلاج (الكوريتراى) .. اليس هدية قرار مؤسسة كورى عام ١٩٢٣ الاحتفال بالعيد الفضي لاكتشاف الراديوم وقرارها بالاجماع الموافقة على قانون يقضي بمنحى معاشا سنويا قدره أربعون ألف فرنك مكافـأة وطنيـة مع تورثيـه من بعـدى لابنتى (ايرين) و (ايف) .

● **تقصدين ذلك المعـاش الذى قدمه مسيو (الكسندر بيليران) رئيس جمهورية فرنسـا اليك فى احتفـال مهيب حضره الوزراء والعلماء وعمداء الكليات .**

ـــ وقال فيه مسيو (ليون بيرار) وزير المعارف الفرنسي : ان اقتراح هـذا القانون واقراره يعد بمثابـة تصميم حـاد على تجاهل تواضع مدام كورى وعدم الاعتراف بما تمثله من زهـد فى المـادة .

● **هذا صحيح .. فلقد اكدت ان المجد لا يكترث بالمـال .. وأن السعادة الحقيقية فيما قدمتيه من بحوث لأجـل البشريـة تدفعك دائما للمزيد من البحوث كى تظلين على القمة دائما .**

ـــ ان فى العطاء سعادة كبرى ولكن ما آلمنى وعذبنى انه عنـدما اشـتد على المرض فى ديسمبر ١٩٣٣ ووهنت صحتى فى مايو ١٩٣٤ حتى اضطررت على اثر خطورة المرض أن أدخل الى المصحة مرغمة حيث التف حولى الأطباء فى محـاولة يائسة لشفائى من داء (الانيميا الخبيثة) .. ولكن ذهبت كل جهودهم ادراج الرياح وفارقت الحياة فى ٤ يوليو ١٩٣٤ .

● **ونحن قبـب انتهاء االقاء فهل لى ان اسالك اى خبر اسعدك بعد وفاتك ؟**

ـــ بالطبع نيل ابنتى (ايرين) جائـزة نوبل عام ١٩٣٥

اسعدنى كثيرا فقد شعرت أن هناك استمرار لوجودى .. أليس كذلك ؟

● **حقــا يا أســتاذة ((مــارى ســكلودوفسكى كــورى)) أو بالأحرى أيتها العالمة الكبيرة (مدام بيير كورى) .. فقد كنت زوجة وفيه واما حنونا وعالمــة عظيمة جليلة فحق لنا ان ننشــد ما قاله العلامة انيشتين ((ان مدام كورى من بين جميع المشاهير هى وحدها التى لم يفسدها المجد)) . ويسعدنى أن أضيف بأن اسمك سوف يظل تأكيدا للعبقرية وتكريما للعلم وعرفانا بالتضحية والكفاح .. فالعظماء وان طوتهم القبور فهم لا يموتون يا أيتهــا العزيــزة .**

((مــدام كــورى))

● اذاعة لندن ١٩٧٨/١١/١٠ .

رفاعة الطهطاوى

١٨٠١ – ١٨٧٤

رائد النهضة الفكرية والقومية ..

أول من فتح لمصر نافذة تطل منها على الغرب ..

أول من نادى بتعليم المرأة وتثقيفها ..

ظل حياته يوزع ثقافته على تلاميذه معلما وفى بطون الكتب مؤلفا ومترجما وعلى صفحات الجرائد صحفيا كاتبا .. لقد كاش وفيا لدينه وفيا لوطنه .. وفيا لأهله .. وفيا لبلده أمينا حريصا على ارتداء الزى الأزهرى حتى فى غربته .

تعالوا بنا نغوص فى أعماق رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر .

رفاعة رافع الطهطاوى .



● **سالته عن مولده وطفولته فأجاب :**

ـــ ولدت فى مدينة طهطا فى أكتوبر ١٨٠١ ، وحيد والدى ، أبى هو بدوى بن على بن محمد على بن رافع . يرجع نسبى من ناحية ابى الى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله . ومن ناحية امى فاطمة بنت الشيخ احمد الفرغلى أبى الأنصار الخزرجية . تنقل بى أبى من طهطا الى قنا ثم الى فرشوط وذلك لضيق ذات اليد . خلال تلك الفترة بدات حفظ القرآن الكريم . ثم عدت الى طهطا بعد أن توفى والدى . وأتممت حفظ القرآن كما أخذت فى تلقى مبادىء العلوم الفقهية فقرأت المتون المتداولة فى ذلك العصر عن أخوالى الشيخ فرج الأنصارى والشيخ عبد الصمد الأنصارى . وأهلنى ذلك للقدوم الى القاهرة لتلقى العلم فى الأزهر .

● **على يد من تتلمذت فى الأزهر !**

ـــ لقد كان أساتذتى شيوخ أجلاء مثل الشيخ الفضالى الذى قرأت عليه صحيح البخارى ؛ والشيخ حسن القويسنى الذى رغم كفاف بصره تولى مشيخة الجامع الأزهر لقد قرأت

عليه كتاب جمع الجوامع فى أصول الفقه وكتاب مشارق الأنوار فى الحديث .. والشيخ الدمهوجى شيخ الأزهر درست عليه شرح الأشمونى على الفية ابن مالك .. والشيخ النجارى درست عليه كتب الحكم لابن عطاء الله السكندرى ، وكما درست على يدى الشيخ على عبد الغنى الدمياطى تفسير الجلالين ، كما لازمت الشيخ الباجورى واخذت عنه شرح الأشمونى وتفسير الجلالين ايضا ، ودرست مغنى اللبيب وجمع الجوامع فى الأصول على الشيخ محمد حبيش ، وحضرت شرح ابن عقيل على الشيخ الدمنهورى .

● **من كان اعظم أساتذتك اثرا فى توجيه حياتك ؟**

ـــ الشيخ حسن العطار . لقد اتصلت به منذ أن دخلت الجامع الأزهر . لقد احبنى لما انسه فى من حب العلم فقربنى منه واحاطنى برعايته بل أشركنى معه فى الاطلاع على الكتب العربية التى لم تتداولها أيدى علماء الأزهر . لقد كنت أتردد على بيت سيحنا الموفر لأتلقى عنه التاريخ والجغرافيا والأدب . لقد فتحت محاضراته امامى آفاقا جديدة للبحث والتأمل والتعبير . لقد لفت نظرى تلك الهوامش الجليلة التى كتبها بخطه على كتاب تقويم البلدان لاسماعيل أبى الفداء كما لفت نظرى اطلاعه الدائم على الكتب المعربة وولعه الدائم بسائر المعارف البشرية .. لقد بهر العلماء بما لديه من المعارف ومن تأليف فى الأصول والمنطق والهندسة والطب والتشريح والأدب والنحو .. لقد تولى التدريس بالأزهر كما تولى مشيخة الأزهر . لقد كان محمد على باشا يجله ويعظمه . لقد حاولت أن أقتفى أثر أستاذى الشيخ حسن فاحببت منذ نشأتى العلوم العصرية وملت الى الأدب واغترفت من مناهله .

● كم سنة قضيت فى الأزهر ؟

ـــ قضيت فيه زهاء ثماني سنوات . لم يمنعنى فقرى عن الاستمرار فى الدراســة لقد كانت والدتى تنفق على من بيع بعض ما تبقى لها من حلي وعقار . كما كنت استعين على الحيــاة باعطاء دروس لحســين بك طبوزغلى والقاء بعض الدروس فى مدرســة محمد لاظوغلى التى أنشأها فى بيته .

● يقولون انك كنت مرجعــا لاخوانك تحل لهم ما غمض عليهم ، وكان أساتذتك يثقون بفهمك وسلامة ذوقك فسطع نجمك وعلا قدرك .

ـــ لقد عينت مدرسا بالجامع الأزهر لأكثر من عامين قمت فيهمــا بتدريس كتب فى الحــديث والمنطــق والبيــان والبديع والعروض .

● لقد وضحت مقدرتك على التعليم خلال تلك الفترة .

ـــ تقصد استفادة طلبتى منى ، لمــا امتزت به من روعــة الالقاء وجمال الأسلوب وسهولة العبارة والدقة فى القول والقدرة على الافصــاح عن المعنى الواحــد بطرق مختلفــة بحيث يفهم دروسى الكبير والصغير بلا مشقة أو تعب .

● هل زرت بلدتك طهطا خلال تعلمك بالأزهر ؟

ـــ لقد كنت دائم الحنين اليها . ازورها من آن لآخر فى العطلات كنت أدرس فى جوامعها . . وفى رمضــان كنت أقوم أيضا بالتدريس فى مسجد جدى أبى القاسم حيث يحضر الكثير من

العلماء والأفاضـــل والقى عليهم الدروس فى التفسير مع السهولة فى التعبير . لقد أفدت الكثير من أهل بلدى ومهدت لهم سبيل العلم والدراســـة . لقد كانت طهطا وطنى الخصـــوصى أتطلع الى أخبـــاره السارة ولا اساوى بطهطا الخصيبة ســـواها أمنحهـــا زمانا بعد زمان الزيارة وأجدد فيها من هبات الحكومة العمارة وأبذل فى محبتها النفيس وافتخر بها .

● مهلا يا شيخ رفاعـــة ... الجميع يدرك حبك لطهطا وخاصة من قرأ كتابك مقدمة الوطنيـــة المصرية الذى جاء فيه « حب الوطن من الايمـــان ومن طبع الأحرار احراز الحنين الى الأوطان ومولد الانسان على الدوام محبوب ومنشؤه مالوف له مرغوب ولأرضك حرمة وطنها كما لوالدتك حق لبنها والكريم لا يجفو [illegible] ابله ولا [illegible] دارا فيها قبائله ... » .

— لقد [illegible]ت فى طهطا الشعر الكثير ، وذكرتها وانـــا فى الغربة فى باريس .

● متى عينت واعظا واماما فى الجيش المصرى ؟

— فى عام ١٨٢٤ وبناء على ترشيح أستاذى الشيخ حسن العطار عينت واعظـــا واماما فى الجيش المصرى النظـــامى الذى أسسه محمد على باشا ، فعينت أولا فى آلاى حسن بك المناسترلى ثم انتقلت الى آلاى حسن بك المنكلى . ولاشـــك أن هذه النقلة قد أفادتنى .. فالحياة العسكرية قد أفادتنى بما فيها من احترام للنظام والكفاح فى سبيل الوطن ومواجهة الأخطـــار وغرس روح الوطنية والشجاعة والاقدام . لقد انطبعت هذه المعانى فى نفسى [illegible] عشت طول عمرى أكره الظلم محبا لبلادى ابذل فى سبيلها [illegible]تى ووقتى وعلمى كما عشت محبا للنظام فى كل عمل توليته .

● كيف ومتى سافرت الى باريس ؟

ـــ اراد محمد على باشا أن يرسل بعثة كبرى الى فرنسا تدرس هناك ما البلاد فى حاجة اليه من حقوق وسياسة وطب وكيمياء وفنون حربية وبحرية وزراعة وميكانيكا ... الخ . وأراد أن يختار لهم من علماء الأزهر من يذكرهم بالدين ويعظهم ويرشدهم ويؤمهم فى الصلاة . فطلب محمد على من الشيخ حسن العطار أن ينتخب من علماء الأزهر اماما للبعثة يرى فيه الأهلية واللباقة. فاختارنى لتلك الوظيفة بصفتى تلميذه وصفيه .

● معنى ذلك انك لم تكن ضمن المبعوثين .

ـــ نعم .. فلم أكن مرسلا الى فرنسا بصفتى طالبا وانما كنت اماما للبعثة ولم يكن مطلوبا منى أن أدرس علوم الفرنسيين ونظمهم بل كان يكفينى أن أقوم بالامامة لأعضاء البعثة أعظهم وأرشدهم .. ولكن باب العلم والمعرفة كان مفتوحا أمامى فاستثمرت مواهبى فى تعلم اللغة الفرنسية والاطلاع على العلوم والمعارف المختلفة .

● لقد ذهبت واعظا للبعثة ومع ذلك كنت اكثرهم استفادة منها واكثرهم تاثيرا على مجتمعك بعد عودتكم .

ـــ هذا حق فمنذ أن غادرت البعثة الاسكندرية على ظهر مركب حربية فرنسية قطعت بنا البحر الأبيض الى مارسيليا فى ثلاثة وثلاثون يوما لم اضيع فيهم وقتا .. بدات تعلم اللغة الفرنسية وأدرك القائمون على البعثة غيرتى ورغبتى فى التضلع فى دراسة اللغة الفرنسية لذلك قيدونى عضوا فى البعثة لدراسة الترجمة . ومنذ العام الأول لقدمى الى باريس شرعت فى

الترجمة . ولم ينقضى العام حتى توالت ترجماتى لكتب صعبة . بعد عام أديت امتحانا فى اللغة الفرنسية وظفرت بتقدير الذين امتحنونى ومنحت مكافأة . لقد كنت حريصا على أن أكتب كل شهر بيانا بجميع ما قرأت وما تعلمت فى هذا الشهر ويوقع عليه المعلمون ليبعث به الى « ولى النعم » فى مصر . لقد كنت موضع تقدير الأستاذ « شواليه » الذى تولى أمر تعليمى فى فرنسا .

● والذى شهد أن غيرة ((مسيو الشيخ رفاعة)) للقراءة والترجمة حتى ساعة متأخرة من الليل ادت الى ضعف أبصار عينك اليسرى حتى احتجت الى ((الحكيم)) الذى نهاك عن مطالعة الليل ولكنك لم تمتثل لخوف تعويق تقدمك .

— ليس هذا فحسب .. بل لقد رأيت أن أسرع فى تعلمى لذلك لم اكتفى بالكتب المقررة والأساتذة المرشحين لتعليم البعثة فقط ، بل اشتريت الكتب اللازمة لى واتخذت معلما آخر . لقد كلفنى ذلك معظم ماهيتى لأكثر من سنة .

● ماذا قرأت من الكتب فى باريس ؟

— لقد قرأت فى شتى الفروع .. درست قواعد اللغة الفرنسية من نحو ومنطق واملاء وانشاء وقراءة . درست فى التاريخ فقرأت كتاب سير الفلاسفة وكتابا مختصرا فى التاريخ العام عن قدماء المصريين والعراقيين واهل الشام والعجم والهنود .. قرأت كتاب لطائف التاريخ يشمل قصص وحكايات ونوادر وكتاب سيد أخلاق الأمم وعوائدهم وأدابهم .. وكتابا عن نهضة الدولة الرومانية وانقراضها وسيرة نابليون .. قرأت فى لحساب والهندسة .. قرأت فى المعادن .. قرأت فى كتب الأدب فولتير وراسين وروسو .. قرأت فى السياسة عن الحقوق

الطبيعية وروح الشرائع لمنتسكيو والاجتماع الانسانى لروسو .. قرأت فى فن الطبيعة وفن العسكرية .. قرأت فى الفلسفة وتاريخ الفلاسفة .. قرأت كثيرا فى المقامات الفرنسية والمجلات العلمية اليومية والشهرية وصحف الأخبار .

● ما الذى استفدته من تعمقك فى اللغة الفرنسية ؟

ـــ لقد مكننى ذلك من عقد الموازنات بينها وبين اللغة العربية حينا ؛ وبين ادبيهما وبلاغتيهما قواعدهما حينا آخر . لقد كانت ثقافتى موسوعية جامعة .

● ما الذى أعجبك فى فرنسا ؟

ـــ النظافة وحسن عاداتهم فى تناول الطعام على الموائد والنوم على الأسرة .. اعجبنى ثباتهم على مبادئهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا! .. حرصهم على الأموال .. انشاء الملاجىء وجمعيات الاحسان وعدم ميلهم للاحسان الفردى . وأن أكثر ما أعجبنى فى الفرنساويين توخيهم للعدل فى حكومتهم وتمسكهم بالقوانين وتقززهم من الظلم والتشفى . ومن أهم ما أمجده فى فرنسا نظمها السياسية القائمة على مبادىء الدستور وكذلك عنايتهم الكبرى بالعلم والمكتبات وقراءة الكتب والجرائد .

● هل انتقدت الفرنسيين ؟

ـــ لقد انتقدت الكثير من اخلاقهم وعوائدهم وعقائدهم التى لا يمكننى أن أقرها أو أرضى بها كعالم دينى اسلامى .. فقد تعرضت لعلاقة المرأة الباريسية فى علاقتها مع الرجل .. وانتقدت نظرة المجتمع الفرنسى لهذه العلاقة وقلت ان باريس

كباقى مدن فرنسا وبلاد الأفرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والاختلالات » كما قلت « ومن عقائدهم القبيحة أن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأذكى منها ولهم الكثير من العقائد الشنيعة كأفكار بعضهم فى القضاء والقدر ».

● **ماذا كان من نصيب الشيخ رفاعة من تحرر باريس ؟**

— الحقيقة التى يجب أن يدركها جيلكم أننى أخذت لنفسى بسلوك الأزهرى المتدين الفاهم لواجبه المحافظ على كرامته . فقد كنت أؤدى الفرائض والسنن ولم آكل مما لم يذكر اسم الله عليه وواظبت على تلاوة القرآن . لقد كان تدينى سببا فى استقامتى وحسن أخلاقى فأحبنى معاشرى وساعدونى . وحمدا لله فقد شهد بذلك أستاذى « شواليه » حيث قال : « لم أر منه الا أسباب الرضا سواء فى تعلمه أو فى سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلق ولين عريكته » .

● **هل كان لدراستك الأزهرية أثرها فيما درست وقرأت وترجمت ؟**

— بكل تأكيد . لقد كان اتقانى وتعمقى فى دراسة اللغة العربية وأدابها واتقانها بالأزهر سببا فى أن وجهنى المشرفون على البعثة لدراسة اللغة الفرنسية واتقانها ودراسة فن الترجمة حتى أستطيع أن أؤدى نصيبى فى الاسهام فى النهضة العلمية والفكرية اذا عدت الى مصر . وكذلك بفضل دراستى الأزهرية العميقة الحرة المتعلقةبحثا وراء الأسباب والعاملة علىربط الأسباب بمسبباتها تربت لدى قوة الملاحظة . فانتهزت فرصة وجودى

باريس وأمعنت النظر وتغلغلت فى الحياة الفرنسية من جميع نواحيها سياسية وعلمية واجتماعية . فدرست الحياة العلمية الفرنسية وعرفت المدارس الفرنسية ومجامع العلماء فى باريس وأثرها فى الحياة الفكرية . كما تكلمت عن المكتبات وأثرها .

● لقد شاهدت فى باريس المعركة التى انتصر فيها « شامبليون » على خصومه بعد أن كشف أسرار الهيروغليفية ، وعاصرت قيام شامبليون بتنظيم قسم الآثار المصرية فى متحف اللوفر بفرنسا .. ترى هل كان لهذا أثره فى فهمك قيمة هذه الآثار ؟

— بالطبع .. لقد دفعنى ذلك للاحتجاج على اهداء « محمد على باشا » حكومة فرنسا باحدى مسلاتنا . لقد قلت « حيث أن مصر اخذت الآن فى أسباب التمدن والتعلم على منوال بلاد أوروبا فهى أولى وأحق بما تركة لها سلفها من أنواع الزينة والصناعة وسلبه عنها شيئا بعد شىء يعد عند أرباب العقول من أختلاس حلى الغير للتحلى بها فهو أشبه بالغصب ».

● وما كدت تعود الى مصر حتى قدمت الى محمد على باشا مشروعك الجرىء لحماية الآثار والذى صدر فى الوقائع سنة ١٨٣٥ ونص على أن تسلم لمدير مدرسة الألسن جميع الآثار التى يجدها الأفراد .

— وقد كان هذا بداية تأسيس أول متحف مصرى بالقاهرة مكانه فى فناء مدرسة الألسن .. وهذا من أعمالى المنسية .

● متى عدت من فرنسا الى مصر ؟

— فى أواخر عام ١٨٣١ . وعند وصولى الى الاسكندرية

حظيت بمقابلة « ابراهيم باشا » وسألته عن أهلى بطهطا وكان له معرفة بهم . ولما وصلت الى القاهرة سعدت بمقابلة محمد على باشا الذى شجعنى وعطف على . لقد استقبلنى العلماء أحسن استقبال .

● **حتى انك تحدثت في رسالة لك الى (جومار) عن هذا الاستقبال وعن قراءة شيخ الاسلام لرسالتك فى وصف رحلتك وعن عزم الشيخ على رجاء الوالى ان يطبع الرسالة ويحبب الى المسلمين التغرب فى طلب العلم من اجل منفعة بنى وطنهم .**

— لقد كنت أرى أن النهضة العلمية فى مصر يجب أن يكون من اسسها ترجمة العلوم ونقل المعارف .. لقد صممت أن أخدم بلادى بترجمة كتب الجغرافيا والتاريخ .

● **ما هى الكتب التى ترجمتها أثناء اقامتك فى فرنسا ؟**

— لقد ترجمت خلال الأعوام الخمس فى فرنسا اثنى عشر مترجما منها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم .. لقد ترجمت كتاب أصول المعادن .. دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوائدهم .. مقدمة جغرافيا طبيعية .. أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الفرنج أصلا لأحكامهم .. نبذة فى تاريخ الاسكندر الأكبر .. تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة الذى الفه الأستاذ جومار لمصر والشام متضمنا شذرات علمية .. ترجمت قطعة من كتاب ملطبرون ونبذة من الميثولوجيا وأعنى بها جاهلية اليونان وخرافاتهم .. هذا ما ترجمته وأنا فى باريس .. أما ترجماتى فى مصر ...

● **شيخنا الموقر رفاعة .. ان مؤلفاتك وترجماتك كثيرة**

ويعوزنا الوقت لتناولها بالشرح واحـدة واحدة فهـل نطمع فى تقديمها لنا مجملة ؟

— مؤلفاتى هى : أنوار توفيق الخليـل فى أخبـار مصر وتوثيق بنى اسماعيل ولم يطبع منه غير الجزء الأول فى تاريخ مصر القديم حتى الفتح العربى .. بداية القدماء وهداية الحكمـاء وقد تناول تاريخ الشرق القديم .. تاريخ قـدماء المصريين التحفـة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، تخليص الابريز فى تلخيص باريز الذى ضمنته أخبار رحلتى ومشاهداتى واختياراتى فى باريس .. تعريب القانون المدنى الفرنسى فى جزءين .. التعريبات الشافية لمريد الجغرافية وهو منقول عن جغرافية ملطبرون .. تعريب الجزء الأول والثالث من الجغرافية العمومية الموسعة لملطبرون .. حبال الأجرومية .. قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر وهو جزآن أولهما فى أخـلاق أوروبا وسكانهـا والثـانى معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية .. رسالة المعادن .. المرشد الأمين للبنات والبنين .. القول السديد فى الاجتهاد والتقليد .. الكنز المختـار فى كشـف الأراضى والبحـار وهو مختصر فى الجغرافية .. كتاب قدماء الفلاسـفة الكواكب النيرة فى ليـالى أفراح العزيز المقمرة وهى مجموعة تهانى للخديو توفيق .. كتاب مبادىء الهندسة (معرب) .. المعادن النافعة لتدبير معـايش الخلايق (معرب) .. مقدمة وطنية مصرية .. مناهج الألبـاب المصرية فى مباهج الآداب العصرية وهو وصف لحال مصر وتاريخها وعلومها وحكومتها وأحوالها العامة .. المنطق وقد عربته عن كتاب دومارسيس .. كما عربت كتاب مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك لفنيلون وقد ترجمته وأنـا فى السودان .. ترجمت قصـيدة نظم العقود فى نظم العود .. ونهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز وهى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

● هل لك أن تحدثنا عن النظم الادارية في عهد الرسـول عليه الصلاة والسلام كما أوضحتها فى ذلك الفصل الممتع من كتابك نهاية الايجـاز

ـــ لقد كتبت عن البذور الأولى للادارة الاسلامية ، وصورت الحكومة الاسلامية الأولى . فالامامة العظمى بالأصالة هى منصب رسول الله وهى استحقاق التصرف العام على المسلمين فى أمور الدين والدنيا . أما معاونو الرسـول وهم أشبه ما يكون الوزراء فقد ورد فى الحديث الشريف : وزيراى من أهل السـماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر . أما الحجابة له صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن أنس بن مالك كان حاجبه . وكان الرسول الأمين شديد الاحتياج الى الكتابة فكان من كتاب الوحى له عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومن كتاب الوحى وكتاب الرسائل والاقطـاع أبى بن كعب الأنصارى وزيد بن ثابت وعبد الله الأرقم الزهرى ، فكان هؤلاء يكتبون له الوحى كما يكتبون الى أمراء الأجناد والملوك أو الى انسان باقطاع . واما العهود والمصالحات فكان كاتبه فيهما على بن أبى طالب . كما استعمل رسول الله أناسا فى أعمال فقهية كتعليم القرآن فقد ارسل مصعب ابن عمير الى المدينة يعلم أهلها القرآن ، ومعاذ بن جبل الى مكة يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وكتعليم الكتابة وممن كان يعلمها عبد الله بن سعيد بن العاصى أمره رسول الله أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتبا محسنا .

● وماذا عن الافتاء وامامة الصلاة ؟

ـــ من الأعمال الفقهية تعليم الفقه فى الدين ووظيفة الافتاء وقد أرسـل رسول الله رسله الى الجهات المختلفة لتعليم الفقه فى الدين وممن كان يفتى على عهد رسـول الله ابو بكر وعمر وعثمان

وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبى بن كعب . كما كان من أشرف الأعمال الفقهية امامة الصلاة ولهذا نص العلماء ان السلطان أحق بالامامة فى الصلاة الا أن يأذن لغيره فى ذلك وكان اذا بعث أميرا كانت الصلاة اليه وقد استخلف أبا بكر الصديق ليصلى بالناس فى مرض موته . ويعوزنا الوقت كى أوضح من استخدمهم الرسول رسلا بكتبه الى الملوك أو يدعون الناس الى الاسلام أو يحملون الصلح والأمان .

● **لقد أمر رسول الله بكتابة الناس فى الجيش فكتبوا فى عصره .**

— وتولى حذيفة بن اليمان كتابة الجيش لرسول الله ، وبعث رسول الله أمراء كثيرين لولاية الجهات . فأمر على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن باذان . كما قلد القضاء عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ومعاذ بن جبل . لقد وضع رسول الله أصول الحسبة واستعمل على سوق مكة بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص . أما صاحب العسس فى المدينة فقد كان ذلك أيضا فى عهد النبى وكان السجن موجوداً منذ عهد الرسول الكريم .

● **لقد كان رسول الله يبعث بالأمراء للجهاد فى سراياه .**

— وكانت سراياه كثيرة . . والسرية قطعة من الجيش وكان رسول الله يعقد الرايات لأمراء البعوث والسرايا وكان الجيش يقسم فى عهده خمسة أقسام مقدمة وميمنة وميسرة وقلبا وساقة. وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمى صاحبا . وأعد رسول الله الخيل فى سبيل الله ونظر عليها من يحفظها كما كان يضع على مغانم الحرب صاحبا مثل كعب بن عمرو بن زيد الأنصارى وأبى سفيان بن حرب .

● **لقد استخدم رسول الله عمالا يجمعون الجزية والزكاة .**

— منهم عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وأبى بن كعب كما كان يبعث مستوفيا يقبض المال من العمال . كما بعث عليا الى اليمن ليستوفى من خالد بن الوليد .

● **وماذا عن بيت المال ؟**

— لم يتخذ رسول الله بيت مال ولا خزانة للنقد وانما كان يعجل قسم ما آتاه من الفىء فى يومه . كل هذا أوضحته فى كتابى « نهاية الايجاز » .. وبدات بنشره ملحقا بمجلة روضة المدارس ولكننى توفيت قبل أن يتم طبعه وتركت الباقى من الكتاب مسودات قام عليها من بعدى ولدى على الذى أرجو أن يكون قد قدمه بما يليق بالسيرة النبوية العطرة .

● **كيف لا يا شيخنا الموقر وقد تتبعت فى هذا الكتاب حياة الرسول الكريم منذ مولده الى وفاته . فرويت قصة حياته طفلا ويافعا ورجلا وكهلا .. كيف لا وقد جمعت الأقوال المختلفة المبعثرة فى كتب السيرة الأخرى ونظمتها نظاما جديدا وكتبت منها بحثك الجديد لتبرهن على أن اسس الحكومة الاسلامية بفروعها المختلفة وضعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم .**

— ان ما كتبته فى سيرة الرسول أو نظم الحكم الاسلامية جه عام من الواجب أن يلتفت اليه دارسو التاريخ الاسلامى بفيدوا منه .

● هل يمكننا أن نتعرف على أهم أفكارك وآثارك فى مؤلفاتك يا رائد الفكر العربى ؟

ـــ ان مؤلفاتي تتسم بالشمولية.. شيمولية النظرة والاحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياســية فى مختلف جوانبها . كما تتسم بالجمع بين النظر والعمل . وبين الفكر والخبرة الواقعية الأمر الذى أضفى على فكرى صفة الارتباط بالواقع . لقد جمعت بين أرضية التراث الاســلامى والتعرف على العلوم العصرية الحديثة . ومن خلال كتاباتى اعتقد اننى قدمت منهجــا فى طرح المشــاكل وحلولها وأعتقد أنكم فى حاجة اليوم لأن تتذكروه وتتمثلوه .

● من واقــع كتاباتك احترمت العقل كأداة لحل مشــاكل المجتمــع .

ـــ نعم فقد كتبت فى المرشد الأمين « ان الله قد كرم الانسان وزينه بالعقل الذى يميز بين الحسن والقبيح والضــار والنافع والخطــأ والصواب » وتأسيسا على احترام العقل والمنهج العقلى فى التفكير تأملت فى ظواهر المجتمع المختلفة وسعيت للكشــف عن أسبابها وبواعثها . والنواميس الطبيعية التى تحكم حركة المجتمع وسلوك الانسان ولكن يبقى هــذا الاعتماد على العقل فى اطار الدين والشرع . كما ربط بين المفاهيم الحديثــة والأصول الاسلامية فقلت « ان ما يسمونه فى أوروبا بالحقوق والأحكام المدنية هو ما نعرفه باسم فروع الفقه وما نسميه نحن بالعدل والاحســان يلقبونه بالحرية والمساواة » .

● ووفقا لهــذا التصــور عبرت كتاباتك عن فهم مستنير للحضارة الأوروبيــة فأنت لم تســارع برفضها ولا بقبولها دون تمحيص ، وقد دعوت للتفاعل مع الحضارة الأوروبية والأخذ عنها

فيما لا يتعارض مع القيم وقد جاء ذلك فى كتابك مناهج الألباب حيث قلت : « وان مخالطة الأغراب لاسيما اذا كانوا من أولى الألباب تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجاب » أما الذين يرفضون اقتباس العلوم الأجنبية عن اوروبا فانك قد وصفتهم بأنهم « واهمون لأن الحضارة دورات وأطوار وهذه العلوم قد كانت اسلامية عندما كنا نعيش بمصر نهضتنا فاخذتها عنا أوروبا وطورتها » .

ـــ لقد كانت المنافع العمومية محور أفكارى قاصدا بها التقدم فى الزراعة والصناعة والتجارة .

● **هل لك يا شيخنا أن تعطينا فكرة عما كانت عليه المرأة قبل مطالبتك بتعليمها ؟**

ـــ لقد كانت المرأة شيئا مهملا فى مختلف الطبقات لا وظيفة لها ولا مشاركة فى الحياة خارج بيتها ، تقوم على خدمة رجلها وخدمة ولده وضيفه . أما فى مجالات العمل والعلم فلا ينبغى أن يذكر حتى اسمها ذكرا خارج أسوار الحريم . كانت المرأة من الطبقة المتوسطة سجينة بيتها لا تكاد ترى من نور الطريق الا ما تتطلع اليه خلسة من خلال النوافذ الضيقة وخروق المشربيات . وعار على البنت أن تمد بصرها على هذا النحو أو تقترب من منافذ تطل على جار أو طريق . وليس لها رأى فى أن تتزوج أو فيمن يكون زوجها وشريك عمرها وأبا أولادها . فهى بذلك أسيرة حبس يحيط بها من كل جانب فى الاجتماع والرأى والتفكير جميعا . وكانت المرأة من الطبقات العالية تستطيع أن ترى ضوء الطريق ولكن من خلال حجاب ضيق يضرب بجرانه على جسمها بالملاءة السوداء وعلى رأسها بالغطاء وعلى وجهها بالبرقع الأبيض . بينما نسوة الطبقة الفقيرة يكشفن عن وجوههن استجابة لدواعى

العمل ومشاركة الزوج فيه وسعيا وراء لقمة العيش الغائصة فى تراب الحرمان وشظف العيش بلفها الجهل المطبق وسوء التغذية وألوان من الحشرات والجراثيم والميكروبات فتاكة . هذا ما فتحت عليه عيناى منذ صباى .

● **لقد كنت أول صيحة فى تعليم المرأة العربيسة الحديثة وتحريرها فهل لنا أن نعرف رأيك فى المرأة ؟**

ـــ المرأة من أجمل صنع الله القدير ، قرينة الرجل فى الخلقة والمعينة له فى تدبير أمره والحافظة لأطفاله والساهرة على العناية بتدبير أمورهم والماسحة بيدها همومهم وآلامهم . والمرأة تمتاز عن الرجل بجسم الين والطف شكلا لا يؤهلها لأن تشاركه الاشغال الشاقة كالحرث والحرب . وبنية جسمها على الرقة واللين توجب كونها الطف من الرجل طبعا وأرق حاشية ولهذه البنية الرقيقة أيضا كان من صفاتها الشفقة والرحمة والعطف والحنان والرفق واللين وكان عندها استعداد لأن تتنزه عن عوائد الرجال الخشنة كالغضب والحقد والبغضاء والشقاق وانما أعظم ما فيهن الغيرة التى لا تكاد تخلو منها واحدة .

كذلك من رأيى فى المرأة انها اعتاضت عن بنيتها الضعيفة بقوة عقلها وحدة احساسها وادراكها وذلك مما يسد فى بعض الأحيان مسد المعارف التى تجهلها وتجعل حياة الأسرة مقبولة محتملة . لقد كتبت أن تعلم الأدب حسن فى الرجال والنساء جميعا ولكنه فى النساء أحسن لما فيهن من الرقة الطبيعية والمحاسن المعنوية . لقد قررت فى كتابى المرشد الأمين ما للمرأة من الأثر فى دفع الرجل الى العلا وتطلعه الى المجد وتمسكه بمكارم الأخلاق . لقد قررت كذلك ما منحته المرأة من قوة تأثرها بما يحصل للرجل من فرح ونجاح والم ونكبة وتلك القوة غريزية فيها وهى من أجل

ذلك تقتسم مع الرجل السعادة والشقاء واليسر والعسر ويشعر الرجل عند الضيق بعطف المراة وكأنها بهذا الخلق الحميد نفس ملكية ملهمة بالألطاف الخفية كما خصها الله بمتاعب المعاش ومباشرة فراش المرضى من الأزواج والأولاد وغيرهم . وتخفيف الآلام والأسقام وجعل لها مقدرة على اخفاء التأثرات الوجدانية وهى تقدر فى ذلك على ما يعجز صناديد الرجال عن الصبر عليه . ولما كانت المراة مخلوقة للرجل وجب عليها منذ الصغر ان تتمرن على تحمل أعبائه وأثقاله وأن تكون مستعدة للصفح عن خلله فتسلك معه مسلك الحلم واللين والرقة فذلك أعود عليها بالمنفعة من سوء الخلق والعناد .

● يقال أنك أول من نادى بتحرير المراة من ربقة الجهل

ــ نعم فقد دعوت الى أن تنال الفتاة حظها من العلم كما ينال الفتى ودعمت رأيى بأمور منها أن للتعليم أثر قوى فى اسعاد بيت الزوجية وحسن معاشرة الأزواج فالتعلم يخلق التناسب والتجانس بين الزوجين ويجعل المراة اهلا لمشاركة الرجل فى الكلام وتبادل الرأى ويبعدها عن سخف العقل والطيش الذى ينتج من معاشرة المراة الجاهلة لامراة مثلها وأن حصول المراة على العلوم والمعارف وثقافتها الممتازة أجمل صفات الكمال وأرفع قدرا عند الرجل من الجمال .

● كما دعمت رأيك بان اداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيرا على اخلاق أولادها ودللت على ذلك بابنتها الصغيرة اذا رات امها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط امور البيت والاشتغال بتربية الأولاد أحبت ان تقلدها فى ذلك على عكس ما اذا راتها مقبلة على زينتها وتبرجها واضاعة وقتها فى هذر الكلام والزيارات التى لا فائدة منها فان البنت تشب مضياعة لوقتها منصرفة عن النهوض ببيتها .

— ليس هذا فحسب فالعلم يهيء للمرأة سبيل العمل فتتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها اذا دفعتها الحال الى ذلك وهذا من شأنه أن يشغلها عن البطالة . فان المرأة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها ويشتغل لسانها بالأباطيل وقلبها بالأهواء .

● هل كانت دعوتك الى تحرير المرأة من الجهل قد بدات بعد تأليف كتابك المرشد الأمين ؟

— لقد كنت عضوا فى مجلس ديوان المدارس وهذا المجلس قدر ما لتعليم المرأة من الفضل فى النهوض بالمجتمع المصرى فاقترح ادخال تعليم البنات فى مصر .

● لكن هذا الاقتراح لم يخرج الى حيز العمل فى عهد محمد على لأن المجتمع المصرى لم يكن يألف يومئذ تعليم البنات فى المدارس فاكتفى محمد على باشا بمدرسة الولادة .

— لقد استطعت أن أضع اللبنة الأولى فى تعليم المرأة حين ظهرت الى حيز الوجود مدرسة القوابل عام ١٨٤٢ تتعلم فيه المرأة فن العلاج النسوى والتوليد وكان لهن فى هذا المجال مستشفى يحظين فيه بالدراسة العلمية والتمرين .

● وعلى الرغم من وسائل التشجيع التى اتخذت لدفع النساء الى دخول هذه المدرسة بأن تمنح المتخرجة فيها رتبة بكباشى وأن يكون لها حرية الدخول الى قصور الوجوه والعظماء فان المواطنات صرفن عنها لأسباب تتعلق بتقاليد العصر .

— وكان جل طالبات المدرسة من الجوارى الحبشيات

وبذلك اصطدمت فكرة تعليم المرأة بأسوار التقاليد العالية وكانت هذه الأسوار مع علوها قوية أيضا .

● هل هناك فروق جوهرية فى دعوتك للنهوض بالمرأة وبين قاسم أمين ؟

— عندما دعوت الى النهوض بالمرأة وقفت عند حد تعليمها، أما قاسم أمين فقد طلب بالاضافة الى تعليمها أن يكون لها من الحرية ما للرجل فلها كما له أن تختلط بمن تشاء . كما طالب بتخفيف الحجاب ورده الى الاحكام الشرعيـة الاسـلامية التى اباحت للمرأة كشف وجهها وكفيها ولم أتعرض انا لحجاب المرأة ولم أدع الى ازالتـه وان كنت ارى أن عفة النسـاء لا تأتى فى كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربيـة الجيدة والخسيسة . والتعود على محبة واحد دون غيره وعـدم التشريك فى المحبـة والالتئام بين الزوجين . لقد شن قاسم أمين حربا شعواء ضـد تعدد الزجات فلم يجزه الا فى حالة الضرورة أما فى غيرها فهو حيلة شرعية لقضـاء شهوة بهيمية . أما أنا فقد كان موقفى اجـازة التعدد بشرط العدل بين الزوجات ، وان كنت أفضل الاقتصـار على واحدة اذا لم تدع الحاجة الى غيرها وقد أوحيت بما سردته من قصص فى هـذا الخصـوص بشقاء من يؤثر تعدد الزوجات . لقد تعرض قاسم أمين للطـلاق واقترح نظاما يحد من سـوء استخدامه حتى لا تتعرض الأسرة وأفرادها للانهيار والتشرد ، ولم أتعرض أنا للطلاق .

● معنى ذلك أن دعوتك لتعليم المرأة كانت دعوة محدودة يراد بها اسـعاد الأسرة أما دعوة قاسم أمين كانت دعوة شـاملة يراد بها انهاض المرأة ورفع مستواها الاجتماعى تمهيدا للمساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية . لقد كانت دعوة

قاسم امين تجديدية شاملة يراد بها نقل المراة من حيــاة راكدة الفتها والفها الشعب الى حياة عاملة مشاركة بجدة وكان دعوتــه الى التحرر من الحجاب والى حرية المراة والى تعديل نظم الزواج والطلاق ما اثار عليه كثيرا من نفوس المحافظين الذين قابلوا دعوته بالغضب والضجة . ترى يا شيخنا الموقر بعد ان طلبت مســاواة المراة بالرجــل فى التعليم فهل ســاويت بينهــا وبين الرجــل فى الوظــائف ؟

ــــ انا أوافق الجمهور الذى لا يرى تولى المراة الســلطنة والملك والخلافة فهذه خصائص الرجال .

● **قبل ان يفكر اسماعيل باشا فى انشاء مدارس البنات.. هل دعوت أولياء أمور الفتيات الى تعليمهم ؟**

ــــ نعم لقد طلبت تعليمهم ما يليق بهن من القراءة وأمور الدين وكل ما ينفعهن من خياطة وتطريز فان سمحت ظروف المراة أن تتعلم فلتنل حظها من العلم كالفتى وقد أوضحت ذلك صراحة فى المرشد الأمين .

● **ان ما يؤخذ عليك رفاعة بك انك لم تؤلف كتابا عن المراة كموضوع بل ذكرتها فى كتاب الرحلة كما ذكرتها فى كتاب كنت ترشد فيه المربين فى التربيــة او المعلمين فى المدارس . وكذلك يؤخذ عليك ان المراة عندك لا تتراءى لك ((اما)) .**

ــــ وانما كنت أراها مخلوقا جميلا وزوجا وفية .

● **ممن تزوجت ومتى ؟**

ــــ بعد عودتى من فرنسا تزوجت بكريمــة خالى الشيخ

محمد الأنصارى وانجبت منهـا غير الاناث ابنين جليلين همـا على فهمى باشا ، وبدوى فهمى بك . وكانا قد لازما الأزهر ودرسا العلوم العربية والحديث والتفسير والتاريخ والجغرافيا وبرعا فى فنون الأدب . وسافر (على) فى بعثة ولمـا عاد عين مدرسا للانشاء بمدرسة الألسن ومحررا بمجلة روضـة المدارس تحت اشرافى . وبعد وفاتى تدرج بالوظـائف ناظر قلم الروضـة والمطبوعـات وناظرا لدار العلوم ووكيلا لديوان المكاتب الأهلية ثم وكيلا لناظر المعارف وأنعم عليه بالباشوية . أما ولدى بدوى بك فقد أتم الدراسة بالمدرسة الحربيـة وارتقى الى رتبة اليوزباشى وعين لمعاونتى فى قلم الترجمة الذى أنشىء فى عهد اسماعيل وآثر الاقامة فى طهطا ليرعى الأملاك .

● ما اثر نزعتك الى الحرية فى تربية أولادك الاستقلالية ؟

ـــ لقد انشأتهم على الثقة بأنفسهم . لقد فوضت ولدى بدوى فى ادارة منزلى واطيانى فى طهطا مع اننى كنت فى أتم صحة واشغل اعلى مركز علمى فى البـلاد لقد قلت له « أنتم مثلنا سواء بسـواء فى الأوامر والنواهى » .كان ذلك فى عهـد استحكم فيه الاستبداد حتى بين الأب وأولاده فقد كان عيبا أن يجلس الابن ولو كان رجلا فى مجلس أبيه او يشاركه مائدة الطعام .

● ماذا كتبت لابنك على فهمى عندما كان موظفا بديوان المعارف وأرسل اليك وأنت ناظر لقلم الترجمـة وأعضاء قومسيون المدارس يطلب منك زيادة فى راتبه .

ـــ لقد كتبت اليه ان الزيادة صرف عنها النظر كسـائر الزيادات المستجدة أخيرا وابقى الأصـل والزيـادة مرهونـة بأوقاتها .. وهكذا كنت أعامل ابنى وهو مرؤوس لى فى قت كان

الحـكام يغدقون المرتبـات والزيـادات والخيرات على أقـاربهم ومحاسيبهم دون ما حسيب أو رقيب .

● الا حدثتنا عن زوجك ؟

ـــ لقد كانت تمزج لوعة الأشواق الى غيرة الأزواج .. لقد احسست منها بعض ما استشعرته من ذلك فكتبت لها كتابا فريد اكدت لها فيه ولائى لها وانني لا أدين الا بمبدأ الزوجـة الواحدة وانني حافظ للود على القرب والبعد .

● ماذا عن جواريك البيض والسمر ؟

ـــ كن يعملن فى دارى عمـل الوصيفات والخـادمات لم يتعدين هذه الحدود حتى ماتت زوجتى فتزوجت احداهن فكانت تسهر على راحتى وانـا أقرأ أو اكتب طوال الليل ، انـا على حشية على الأرض وهى على سرير بجوارى أبيت إشتغل طول الليل وأدخن طول الليل .

● ترى هل كان نومك على حشية على الأرض من خشية احتراق الفراش ؟

ـــ ولم لا تقول ان تركى السرير لزوجتى ليدل على مبلغ ما لها عندى من تقدير واحترام .

● هل كانت امك راضية عن سفرك لفرنسا ؟

ـــ لم تكن براضية مطلقا ؛ وأنها أغلقت عليها الباب طول مدة الغياب وأنه عند رجوعى أخذت أنبئها بعودتى واقنعها بشخصيتى حتى فتحت لى غير مصدقة وفتحت لى قلبها واحتضنتنى بحنين .

● **ما هى الوظائف التى تقلدتها بعد عودتك من البعثة ؟**

— لقد اشتغلت فى مجال الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية فى مدرسة الطب بأبى زعبل ثم انتقلت الى مدرسة الطوبجية (المدفعية) وعينت ناظرا لمدرسة الألسن كما عهد لى بتنظيم جريدة الوقائع المصرية والاشراف على تحريرها . وبعد أن أغلق عباس باشا مدرسة الألسن أبعدنى عن مصر لأتولى نظارة مدرسة ابتدائية بالسودان غير ان عباس مات فجأة وتولى سعيد الحكم واصدر أمره بعودتى الى مصر . وتوليت مناصب عديدة من أهمها نظارة المدرسة الحربية فى القلعة ونظارة قلم الترجمة . وفى عام ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس كما الغى قلم الترجمة وظللت بغير منصب الى عهد اسماعيل فأعيد قلم الترجمة ورياسته وكان لى فضل طبع طائفة من أمهات الكتب كتفسير الفخر الرازى وخزانة الأدب والمقامات الحريرية كما عهد الى بتعريب قانون نابليون لاصلاح النظام القضائى وفى عام ١٨٧٠ أنشأ على باشا مبارك مجلة روضة المدارس فتوليتها وباشرت تحريرها مع ابنى على فهمى حتى وفاتى .

● **ما هى الرتب التى انعم بها عليك ؟**

— كنت وانا فى البعثة بباريس برتبة يوزباشى ، ولما عدت انعم على محمد على باشا برتبة صاغ قول أغاس ، وأنا بمدرسة طره ، ورقيت الى رتبة بكباشى ثم نلت رتبة أميرالاى وأصبح اسمى رفاعة بك . لقد كان آخر ما ظفرت به من الألقاب رتبة المتمايز وقد انعم بها على سعيد باشا .

● **لم لم تظفر برتبة الباشوية مع مالك من مكانة علمية سامية ؟**

— لأن آخر المناصب التى شغلتها فى عهد اسماعيل باشا

لم تكن متناسبة مع هذا اللقب الرفيع ، كما أننى كنت إتصف بالاباء والشمم وهذه الصفات على كونها من اسمى الفضائل فهى ليست محببة الى الرؤساء والولاة ولا ترغبهم كثيرا فى أصحابها ولا تميل بهم الى اسناد المناصب الرفيعة اليهم . وعلى كل حال لم يكن يهمنى سوى الانصراف لتأدية رسالتى وهى التأليف ونقل الثقافة الغربية الى العربية .

● بالرغم من انك لم تكن وزيرا ولم تمنح الباشوية الا انه كان لديك ثروة فمن أين لك هذا ؟

— بعد أن قدمت الى محمد على مجلدا عربته عن جغرافية ملطبرون منحنى عطاء مالى ومائتان وخمسون فدانا ببلدتى طهطا . واقطعنى ابراهيم باشا حديقة نادرة المثال على مساحة ستة وثلاثين فدانا فى (الخانقاه) ولم يمنحنى عباس شيئا أما سعيد فقد أنعم على بمائتى فدان واسماعيل بمائتين وخمسين فدانا .

● من المؤكد أن هذه المنح كانت ترجمة عملية للاعجاب بعملك ومكافأة على ما بذلت لنفع وطنك وحتى تتفرغ للعمل فى التأليف والترجمة وألا يشغلك عنها أمر تدبير عيشك .. ومع ذلك لم تكتفى بما انعم به عليك الولاة واشتريت تسعمائة فدانا .

— بلغ جميع ما فى ملكى من أطيان الى حين وفاتى ألف وستمائة فدان وهذا بالطبع بخلاف ما اشتريت من عقارات سواء فى طهطا أو القاهرة .

● ماذا عن رايك فى مكارم الأخلاق الاجتماعية ؟

— رايى ينحصر فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . لأن الرجل الصالح المستقيم لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف . فالاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير . ومن ذلك يتبين ان الرجل الاجتماعي - كما أرى - هو العادل المنصف المستقيم الصالح . لقد كتبت رأيي فيمن لا يستطيع الكسب لمرض أو شيخوخة وطالبت بانشاء المؤسسات لتنهض بسد حاجة هؤلاء مؤكدا أن الدولة وحدها لا تستطيع القيام بذلك العبء ولهذا يجب ان يعينها جمعيات الأغنياء وأهل الميسرة .

● **ماذا كتبت عن حقوق العمال ؟**

ـــ لقد ناديت بحق العامل فى أن ينال أجرا يناسب ما بذله من الجهد والعناء لقد بينت أثر العامل فى جلب الثروة وانه أقوى من خصوبة الأرض ومن الظلم غبن الأجير فعمله هو المنتج ولولاه ما ربحت الأرض هذا الربح العظيم ومحاولة المالك تقليل أجرته مستغلا ازدحام أهل الفلاحة على العمل اجحاف به وايذاء له لا يثمر محبة الأجير للمالك والايذاء ممنوع شرعا . لهذا أردت بهذا أن أشرك العامل مع صاحب الأرض فى غلتها . ومع ذلك فقد مدحت السعى والعمل وذممت البطالة والكسل بعد أن بينت قيمة العمل فى جلب الثراء الذى هو أساس سعادة الأمة .

● **ما هى أصول التمدن فى رأيك ؟**

ـــ للتمدن أصلان : أصل معنوى وهو ما يتصل بتهذيب الأخلاق والآداب الدينية والفضائل الانسانية ، وأصل مادى هو ما يتصل بالمنافع العمومية التى تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال الاجتماعى .

● متى أنشئت مدرسة الألسن ؟

— فى عام ١٨٣٦ أنشئت مدرسة المترجمين وسميت بعد انشائها بقليل مدرسة الألسن وأسندت نظارتها آلى حتى أستطيع تخريج جيل من المثقفين المصريين وحتى أضمن وجود طبقة من العلماء الأكفاء فى الآداب العربية وآداب اللغات الأجنبية ليقوموا بمهمة تعريب الكتب الافرنجيـــة وليكونوا الصـــلة بين الثقافتين المصرية والغربية وينهضوا بالأداة الحكومية فيما يعهد به اليهم من المناصب . لقد أخترت تلاميذها من مدارس الأقـــاليم ومن الأزهر . لقد كانت مدرسة الألسن وملحقاتها اشبه ما تكون فى أيامكم هـــذه بكليات الآداب والحقوق والتجارة مجتمعة . كمـــا كانت ملتقى ثقافة الشرق بالغرب وأكبر معهد لنشر الثقافـــة فى مصر . وسيطرت على التوجيه الثقافى فى البلاد . لقد كان عدد تلاميذ المدرسة أول انشائها خمسين تلميذا ممن يقرءون ويكتبون أصحاء البنية وتتراوح أعمارهم ما بين اربعة عشر سنة وثمانيـــة عشرة سنة . وكان الغرض الأول من انشائها تخريج مترجمـــين لمصالح الحكومة ، ثم اتجهت النيـــة أن يكون من خريجيها قـــلم الترجمـــة ثم استقر الرأى أن يكون غرضها اعـــداد المترجمين والمدرسين ثم امداد المدارس الخصوصية بتلاميذ يعرفون اللغـــة الفرنسية . لقد كانت مدة الدراســـة خمس ســـنين تزداد الى ست . وكان يدرس بها اللغات الفرنسية والعربيـــة والتركيـــة والفارسية والايطالية والانجليزية الى جانب دراسة مواد كالهندسة والجبر والتاريخ . وكان بعض أساتذتها من الأجانب وبعضهم من مشايخ الأزهر وبعضهم من خريجى مدرســـة الألسن . لقد كان تلاميذى يمرنون على ترجمة الكتب زيادة على المواد الدراســـية التى كانوا يتلقونها وكان تلاميذ الفرقة الأخيرة خاصة يترجمون كتبا فى التاريخ والآداب وكنت أقوم والأساتذة باصلاح ما يترجمون

ثم يطبع ما ترجم وينشر كتبا تكون مادة الدراسة . على كل حال لقد ظللت ناظرا لهذه المدرسة الى أن اغلقت فى نوفمبر ١٨٤٩ وابعدت الى الخرطوم بدعوى انشاء مدرسة ابتدائية .

● ما هى مبادئك فى التربية والتعليم ؟

ـ الطفل يغذى بالطعام لينمو جسمه ويغذى خلقه بتعويده التطبع بالطباع الحميدة والآداب والأخلاق ، وتغذيه عقله بالمعارف وألوان العلوم . ان مهمة التربية عندى تهذيب الخلق وتنمية العقول وتحسين الادراك وليس من مهمتها خلق الذكاء ولا الألمعية لأن ذلك من الصفات الفريزية الطبيعية . وان أثر التربية الحسنة للأفراد هو النهوض بالهيئة الاجتماعية والأمة التى حسنت تربية بنيها هى الأمة السعيدة التى يرقى بها الوطن . ان أول ما يجب أن يعنى به مربى الطفل أن يمحو الاثرة من نفسه وأن يحفظه منذ صغره العقائد الدينية ويغذيه بالأحكام الشرعية . فينبغى أن يعلم الصغير ذكرا أو أنثى من مبدأ أمره اقامة الدليل على وجود الله ووحدانيته وهكذا يجب أن تسير التربية الدينية جنبا الى جنب مع تربيته المعاشية ليجمع بين معرفيتهما . وينبغى لمن يربى البنت ويتعهد شئونها الا يمس بمحو ولا تخفيف تلك الصفة التى أختصت بها دون الرجال والتى تتزين بها وهى صفة الحياء والخوف والوجل فان المرأة لم تخلق لتحوز شجاعة الرجل ولكن لتحمل الرجال على الشجاعة .

● لقد قسمت التعليم ثلاث مراحل : التعليم الأولى والتجهيزى والانتهائى .

ـ هذا صحيح .. فالتعليم الأولى لجميع الناس أغنياء وفقراء ذكور واناث . وهو ضرورى يحتاج اليه كل انسان

كاحتياجه الى الحبر والماء . ومنهجه من التعليم دراسه القراءه والكتابه ضمن تعليم القرآن الشريف وأصول الحساب ومبادىء الهندسه والنحو . أما التعليم التجهيزى (الثانوى) يكون به تمدن جمهور الأمه وكسبها درجه الترقى والحضاره والعمران وعلومه كثيره . ولأهميه هذا النوع من التعليم لابد للحكومه أن ترغب الأهالى فيه وتسوقهم اليه والأفضل أن يكون تعلم المهن على اختلاف أنواعها بعد الانتهاء من هذه المرحلة . والتعليم الانتهائى (العالى) هو الذى يشتغل الانسان فيه بعلم مخصوص يتبحر فيه بعد تحصيله علوم المبادىء التى يجول ويصول صاحبه فى أصوله وفروعه . لقد كان رأيى أنه من الواجب تعميم التعليم الأولى بين أبناء الشعب جميعا وترغيب الشعب فى التعليم الثانوى ووجوب الاقتصاد فى التعليم العالى لأنه معد لتكوين أرباب السياسات والرئاسات وأهل الحل والعقد فى الممالك والحكومات فيجب أن تكون عدد تلامذته محصورا والا تباح الأسباب اليه الا لصاحب الثروة واليسار بحيث لا تضر تفرعه للعلوم العاليه بالملكه . لقد كان رأيى أيضا أنه ينبغى لولى الأمر ان يتأمل حال الصبى ليرى ما هو مستعد له من الأعمال فيعلم أنه مخلوق له فيوجهه التوجيه الصالح ولا يحمله على غير ما هو مستعد له ، فانه ان حمله على ذلك لم يفلح فيه وفاته ما كان مهيئا له .

● هل لك أن توضح لنا رأيك فى صله المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه ؟

— من الواجب أن تكون صلة حب وأخلاص فالتلميذ يدعو لأستاذه كلما شرع فى قراءه درس أو فرغ منه . وحق المعلم أن يجرى متعلمه مجرى بنيه . وعلى المربى أن يختار من العبارات

التى يؤدى بها المعنى ما هو واضح ومفصل فى مستوى تلاميذه وأن يعاملهم بالرفق والشفقة وأن يعنى بارشادهم ويهتم بمصالحهم ويصبر على جفائهم وسوء أدبهم ويعذرهم فى قلة أدبهم ولا سيما اذا كانوا حديثى السن . أما ما يفعله معلمو القرآن الكريم وشدة عنفهم وضربهم للأولاد الصغار المبتدئين فى التعليم فهو خروج عن حد الشرع ويترتب على ذلك أن الأولاد يمتنعون عن الكتابة والقراءة فيجب أن يعاملوا الصغار بالرفق والحيلة فى التعليم . ومع ذلك قد أجزت للأب أن يضرب ابنه لتدريبه وتأديبه . كذلك ينبغى للمعلمين أن يأذنوا لتلاميذهم باللعب فى بعض الأوقات ليستريحوا من عناء الدرس .

● **ما واجب التلميذ بمعلمه ؟**

— أن يكون متأدبا مع الله ومع مربيه متواضعا لأستاذه محبا له معتقدا فيه سامعا لقوله بل أن يكون معه بمنزلة العبد من مولاه وأن يكون متأملا ومستفيدا وأن يبعد الفتور عن نفسه .

● **لقد فصلت يا شيخنا الجليل اخلاق العلماء فماذا قلت ؟**

— العالم لابد أن يكون متواضعا زاهدا فى طلب الرياسة والاعتراف بعلم المتازين وعدم الحقد عليهم والتماس عثراتهم وانتقادهم وينبغى له الا يمدح نفسه ولا يفرح بمدح الناس له وثنائهم عليه وأن يكون مثلا من الأمثلة الكريمة فى الأخلاق الحميدة من الزهد فى الدنيا والسخاء وطلاقة الوجه فى غير خروج الى حد الخلاعة والصبر والتقوى ويكون مكثرا من الخشوع والوقار متجنبا الضحك والاكثار من المزاح . لا يلبس الملابس الرثة المكروهة المبتذلة وأن يكون تاركا للشهرة وليحذر كل الحذر من الحسد والكبر والرياء والعجب .

● **ماذا عن رأيك فى ثقافة الأديب ؟**

ـــ الواجب على الأديب أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون ولابد للكاتب ان لم يحسن الشعر أن يكون له سعة اطلاع على دواوينه سواء أكان شعر العرب أم من شعر المولدين والمخضرمين . والمثل الأعلى لبلاغة الكاتب أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لأنها اذا لم تكن كذلك لا تكون فصيحة وان تكون مركباته مما يفهمه الخاصة والعامة . والأدب ذا فضل على العلوم فانه يكسوها طلاوة وحلاوة ويجب أن يأخذ من العلم فكرته ومن الأدب أسلوبه .

● **رفاعة بك .. ما هى الدوافع الحقيقية وراء ابعادك الى السودان فى عهد عباس ؟**

ـــ لقد نفيت الى الخرطوم لأتولى انشاء ونظارة مدرسة ابتدائية بحجة « أننى ملم بأصول المدارس وتنسيقها وتنظيمها نظاما حسنا » .

● **ما الدافع الحقيقى لابعادك ؟**

ـــ هم أولئك الوشاة الذين أصغى اليهم عباس .. فالبعض منهم لفتوا نظره الى ما فى كتابى « تخليص الابريز » من أراء ومبادىء لا يرغب فيها الحاكم المستبد وقد كان هو مستبدا فرأى أن يبعدنى ويبعد أفكارى وثقافتى عن مصر .. كذلك قد يكون لأطماع على مبارك بعد عودته من أوروبا أثرها فى ابعادى خاصة وان عباس قد قربه اليه .. كما يحتمل أن يكون ابعادى مرجعه بعض المشايخ المتعصبين الذين عدونى متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه . خلاصة القول ان الحكومات الفاسدة كثيرا ما ضاقت بالعلماء فما بالك اذا كان البيت الحاكم منشق على نفسه اذا تقرب أحد الى بعضه غضب عليه البعض الآخر .

● هل لك أن تصف لنا شعورك فى السودان ؟

ـــ بأننى منفى لا مبعوث لنشر العلم والعرفان كما أن جو السودان أودى بحياة الكثير ممن كانوا بصحبتى من المدرسين الأكفاء الذين اخترتهم للذهاب معى . كما أننى لم أصحب معى أهلى وبنى لذلك كنت دائم التفكير فيهم شديد الحنين اليهم . لقد تحملت كل ذلك بجلد وصبر . لقد حاسبت نفسى على كل ما قدمته لبلادى فوجدت ان كل حسناتى قوبلت بالاساءة وجميلى بالنكران .

● ماذا كان مصير مدرسة الخرطوم ؟

ـــ أغلب التلاميذ الذين جمعوا الى المدرسة هربوا بمعرفة أهاليهم الى الجبال المستبعدة كما كانوا ناس « غلايظ العقول » ؛ اما المعلمون فقد توفى ثلاثة منهم وأما المهمات المدرسية كالطرابيش وخلافه استولى عليها حكمدار السودان ووزعها على فرق الجيش .. والخلاصة ان المدرسة صارت اسما بدون جسم . هذا كان حال المدرسة خلال العامين الأولين من ذهابى الى الخرطوم غير أننى لما رأيت أن لا أمل فى العودة الى مصر بدأت أعمل بجد . فتنظمت المدرسة حوالى تسعة شهور وتعلم فيها التلاميذ من أبناء المصريين القاطنين هناك . وكان عدد التلاميذ واحد وثلاثين وبعد شهر ونصف زادوا سبعة بفضل جهود حكمدار السودان وتوسمت فى عشرة منهم التفوق على أقرانهم فخصصتهم بالرعاية ليكونوا مقدمين على أقرانهم وقلفوات للمدرسة .

● غير أن عباس مات فجأة ولم يمض على تولية سعيد باشا الحكم أسبوعا حتى أصدر أمره بالغاء المدرسة وعدت الى مصر واستقبل تلاميذك عودتك بالغبطة والبهجة وعدت لتولى

المناصب . مولانا الشيخ رفاعة بك .. هل كان لك آراء خاصة في السياسة ؟

ـــ لقد كنت أميل بالفطرة الى النظم الحرة والحياة السياسية المقيدة بالقوانين لذلك ترجمت دستور فرنساوى أدخل عليه من تعديلات وقد علقت على مواده . لقد أوضحت أن النظام العمرانى يحتاج فى انتظامه الى قوتين عظيمتين احداهما القوة الحاكمة التى عليها قوام الدين والدنيا ، والثانية هى القوة المحكومة وهى القوة الأهلية المحرزة لكامل الحرية والمتمتعة بالمنافع العمومية . لقد كتبت عن أركان الحكومة ممثلة فى ثلاث قوى : الأولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها والثانية قوة القضاء والثالثة قوة تنفيذ للأحكام بعد حكم القضاء بها . لقد كتبت عن الملك وقلت يجب أن يتصرف على موجب احكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية وله حقوق وعليه واجبات وأوضحت أن للتاريخ قوته فى حمل الملوك على العدل وأن الله قد أختاره لرعاية الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم بمعنى اعطاء كل ذى حق حقه . والمساواة فى الانصاف بميزان القوانين وحسن اختيار معاونيه وللملك على رعيته الطاعة الكاملة واذا ظهر له عدو لزمهم معاونته . لقد كتبت كثيرا فى الحقوق المدنية والحرية والمساواة والنظام النيابى والاشتغال بالسياسة . وكتبى الثلاث المرشد الأمين ومناهج الألباب المصرية وتخليص الابريز تحوى باسهاب آرائى التى اوضحتها .

● ان ما أوضحته فى كتبك من اراء ورغبات قد حققتها وزارة التربية والتعليم فى عصرنا هذا بتدريسها مبادىء الوطنية فى مدارسها ليعرف ابناء الوطن حقوق وطنهم عليهم وواجباتهم نحوه. لقد كنت يا استاذنا الشيخ تقدر مهنة التعليم حق قدرها وتجل

القائمين عليها حتى انك كتبت فى المرشد الأمين « ان خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون » .

— وهـذا حق ...

● هل لك أن تحدثنا عن رفاعة الصحفي المجدد ؟

— تقصد عملى بالوقائع المصرية التى صـدرت فى الثالث من ديسمبر ١٨٢٨ والتى صدر قرارا رسميا عن ديوان المدارس فى الحادى عشر من يناير ١٨٤٢ بتعيينى رئيسا لتحريرها . لقد لاحظت أن هذه الصحيفة تكتب باللغتين التركية والعربية وموادها تكتب بالتركية ثم تترجم الى العربيـة فى ركاكة . لذلك حتمت على الصحيفة أن تقدم المواد كلها باللغة العربية أولا ثم تترجم الى التركية . كما عنيت عناية خاصـة بالأخبار المصرية مقدما اياها على الخارجيـة . لقد انتقلت الوقائع من الأخبار التافهة والعبارات الجوفاء الى موضوعات هامة لها شأنها ونفعها للقارىء المصرى .. لقد شهدت الوقائع على يدى أول محاولة لانشاء المقال فى تاريخ الصحافة المصرية . ومن المعروف أن المقـال فى ذاتـه تفكير وتحرير أو كما يقال موضوع وأسلوب .

● هل نستأذنك فى ايضاح نوعية المقالات التى كنت تكتبها فى ذلك الحين ؟

— لقد تناولت موضـوع الحاكم وموضـوع الرعية وشرح وظائف الحكومة وتكلمت عن أنواع الحكومات الأجنبية وتحدثت باحتياط تام عن الحكومات الاسلامية فى معرض التفرقة بينها وبين الحكومات الأوروبية غير غافل أن الحاكم محمد على باشـا رجل دكتاتورى النزعة .

● ماذا عن التجديدات التى اضفتها الى الوقـائع المصرية ؟

ـــ لقد ضمنت كل عدد قطعا ادبية اخذت من بطون الكتب العربية القديمة كمقدمة بن خلدون مثلا . لقد قصـــدت أن تقوم الصحافة بواجب التثقيف وتنوير الأفهام الى جانب الأخبـــار والاعـــلام .

● ماذا عن المحررين والمترجمين والمصححين ؟

ـــ لقد عينت مندوبين يجمعون لها الأخبـــــار من دواوين الحكومة . أما المترجمين فقد كانوا من مدرسة الألسن أما المحررين فأهمهم أحمد فارس الشدياق والسيد شـــهاب الدين . لقد نظمت الجريدة تنظيما جديدا بحيث أصبحت تصـــدر كل أسبوع وعينت مكانا لبيعها وثمن لها وللاشتراك السنوى . وظلت الوقـــائع تصدر حتى جاء عهد عباس الأول فأصيبت الوقائع بنكسة .. فقد اختفت منها المقالات السياســـية والاقتصـــادية كما اختفت الأخبار الخارجية وكثير من الأخبار الداخلية . وعادت تنحصر فى بعض القرارات الرســـمية . أما أنا رئيس التحرير فقد ابعدت لأعمل ناظر مدرسة بالسودان .

● ولكنك فى عهد اســـماعيل استدعيت من جديد لتتولى اصدار صحيفة جديدة انفق عليها ديوان المدارس وكان اســـمها « روضة المدارس » .

ـــ التى صدر العدد الأول منها فى السابع عشر من أبريل سنة ١٨٧٠ . لقد كانت هـــذه المجلة تصدر مرتين فى كل شهر . وكان يشترك فى تحريرها كل من يندب لهذه المهمـــة من ذوى العلم والمعرفة ، أما من حيث الأخبار فقد كانت تقصر عنايتها على أخبار

الطلبة والامتحانات وقصائد ومنظومات من الشعر فى شكر الخديو لتشجيعه العلم والعلماء ولانشائه المدارس هنا وهناك . أما أهداف المجلة فكان النهوض باللغة العربية ونشر المعارف الانسانية .

● كيف كانت توزع روضة المدارس ؟

ـــ كان ديوان المدارس يمنح الثلاثة الأوائل من الطلبة فى كل فرقة بالمدارس الأعداد التى تصدر من الروضة . ولقيت الصحيفة من الطلبة الاقبال الشديد على قراءتها والكتابة فيها مما حمل الديوان على أن يأمر بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال فى وقت الدروس ولا فى كتابته ما لم يكن فى أوقات الفسحة أو خارجا عن المدرسة » . لقد كان يطبع من كل عدد ٣٥٠ نسخة ثم زيدت الى ٧٠٠ نسخة وجعل الاشتراك فيها ٧٧ قرشا وست بارات فى القاهرة و ٨٢ قرشا فى داخل القطر و ٩٠ قرشا فى خارجه . وكان الديوان حريصا على توزيع أعداد الروضة وكان يرسل بعض أعدادها الى مدارسه ليشتريها المدرسون منبها الى « الحذر من عدم ارتداد أى نسخة من الروضة » ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموظفين بديوان المدارس والمكاتب الأهلية ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشا فى الشهر . وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعدادا من الروضة الى أعيان البلاد ليقوموا بتوزيعها .

● كيف كان تنسيق مجلة روضة المدارس ؟

ـــ كان العدد من المجلة مقسوما الى قسمين أولهما الأخبار وثانيهما قسم الكتب الذى كان يضم الكثير من المعارف الانسانية والاجتماعية والتاريخية واللغوية . المهم أن هذه

المعارف والعلوم كانت تنشر فى روضة المدارس على شــكل ملازم تشير كل ملزمة منها الى كتاب بعينه قام على تأليفه أو ترجمته رجل له صلة بهذا العلم أو ذاك بحيث اذا جمعت الملازم المتشابهة فى النهاية تألف من ذلك المجموع كتب متفرقة .

● ما هى الكتب التى طبعت مــلازم فى روضـــة المدارس وجمعت فى كتاب ؟

ـــ حقائق الأخبار فى وصف البحار (على مبارك) ، كنوز الأشعار ومنثور الأفكار (عبد الله فكرى) ، بهجــة الطالب فى علم الكواكب (اسماعيل الفلكى) ، غريب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجى والنكات (عثمان ممدوح) ، اللآلى السـنية فى الفوائد الكيمائية (منصـــور أحمد) ، الصحة التامة والمنحـــة العامة (محمد بدر) .

● ولك أنت كتاب القول السديد فى الاجتهاد والتجديد . حقا ان هـــذه الكتب تؤكد لنا تنوع الثقافات التى احتفلت بهـــا روضة المدارس ، والتى نعتقد أنها لم تكن مجلة سياسية بل كانت مجلة أدبية علمية . وقفت فيها موقف الأســـتاذ الذى حرص على تقديم اشهى أنواع المعرفة للتلاميذ فى زمانك فكنت المهيمن على تثقيف الشــبـاب عن طريق المجلة خارج المدرسة .

ـــ لقد حاولت بقدر ما سمحت الامكانيات التى اتاحتها لى الحكومة أن أقدم صحافة خبر وصحافة توجيه وتثقيف وارشـــاد وتسلية وامتاع .. واعتقد أننى وفقت .

● من هم معاونوك ومساعدوك من العلماء والمدرسين ؟

ـــ لقد ساعدنى طائفة من العلماء كان يوكل أمر أختيارهم

لى فكنت أتى بهم من الأزهر مثل الشيخ محمد قطة العدوى ، والشيخ على الفرغلى الأنصارى وكان يدرس اللغـة العربيـة ، وأحمد عبد الرحيم الطهطاوى المؤلف فى التوحيد والفقه والنحو والأدب المحرر بالوقائع المصرية وكان (باشخوجه) اللغة العربيـة بالمدرسة التجهيزية وكبير المصححين بمدرسة الألسن ، والشيخ محمد المنصورى وكان مكفوف البصر وقد تعين لاعطـاء دروس الفقه والتوحيد بمدرسة الشريعة الاسلاميه . وكذلك كان معى مدرسون فرنسيون منهم (ديزون) وقد كان معاونا لى وأمينـا للمكتبة الملحقة بالمدرسة . أما الشيخ محمد هدهد الطنتدائى فقد كان ممن ساعدونى فى اختيـار بعض العبارات والأسـاليب فى الترجمة وقـد قيدته بصحبتى « مبيضا » لكتـاب الجغرافيـة العمومية وكاتبا لمـا أمليه عليه فقام بواجبات وظيفتـه وزيادة وربما تصرف بعد مشاوراتى فى عبارات أو اشار على بتغيير ما يظن أنه يعسر فهمـه على من لم يسبق له فى هـذا الفن علمـه . أما معاونى فى قلم الترجمة فكانوا من تلاميذى وهم كثيرون .

● **هل لنا ان نعرف بعض تلاميذك النجباء ؟**

— منهم الدكتور على البقلى باشا الذى ارسل الى باريس لدراسة الطب فلما عاد انتفع به الوطن بعمله ومنحه الوالى رتبـة أميرالاى .. لقد حضر الى وكنت حينذاك ناظرا للمدرسة الحربية .قبل يدى معترفا بفضلى .. لقد كان من أعلام الطب فى عصر حمد على واسماعيل . كذلك من تلاميذى عبد الله أبو السعود ندى وهو أول صحفى سياسى حرر أول صحيفة سياسية حرة سدرت فى مصر فى عهد اسماعيل وهى جريدة وادى النيل وارتقى ، المناصب حتى صار رئيسا لقلم الترجمـة وله مؤلفات وتراجم شيرة .. والعالم المشرع الكبير محمد قدرى باشا صاحب الكتب الثلاثة الخالدة فى جمع أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات المدنية

وشغل منصب الترجمة فى الحكومة ورئيسا لقلم الترجمة بوزارة الخارجية وترجم قانون الحدود والجنايات وقوانين المحاكم المختلطة تمهيدا لوضع قوانين المحاكم الأهلية وتولى وزارة الحقانية ثم المعارف فى عهد توفيق باشا .. ومنهم عثمان جلال بك الشاعر الناثر واضع أسس القصة الحديثة وكان ميالا للفن الروائى ترجم ومصر ما ترجم وقد استوزره توفيق باشا . ومن أذكى وأحسن تلاميذى السيد صالح مجدى بك الذى التحق بقلم الترجمة وتخصص فى ترجمة العلوم الرياضية وكتب الفنون الحربية وتصحيحها وتولى رئاسة قلم الترجمة فى عهد اسماعيل وعين قاضيا بمحكمة مصر المختلطة وكان يحسن الانشاء والكتابة وله ديوان شعر .. كذلك من تلاميذى المرحوم المشار محمد مصطفى البياع وغيرهم كثيرون تخرجوا من مدرسة الألسن وعربوا نحو ألفى كتاب أو رسالة فى مختلف العلوم والفنون وان جميع الذين سعوا فى الترجمة فى عهد محمد على واسماعيل يشرفنى أنهم كانوا تلاميذى .

● **هل تعرف ماذا قال عنك تلميذك صالح مجدى بك فى وصفك ؟**

— تماذا وصفنى لحلكم ذلك التلميذ النجيب ؟

● **قال أنك قصير القامة عظيم الهمة واسع الجبين متناسب الأعضاء أسمر اللون صحيح البنية قوى الأعصاب ، ألثغ فى الراء ، عيناك واسعتان لهما نظرة هادئة حالمة ، وشفتان مطبقتان ، ما كنت تعنى بملابسك .**

— أهذا كل ما قاله من صفاتى .

● **لقد قال من أظهر صفاتك الخلقية الصبر والمثابرة وقوة**

العزيمة والأقدام والجرأة وسباب العزم والحزم والدهاء والاباء والسمم . لقد قال ايضا كان فيك زيادة كرم وسماحة اعتقت كثيرا من الأرقاء من الاناث والذكور وظللت بمنحهم الكسوة والمئونه متكفلا لهم بكل ما امكن حتى وفاتك . كما كتب أنك كنت تصل رحمك وتذهب الى بلدك لزيارة الأهل والأقارب وكنت تبذل الجهد لقضاء حوائج الجميع . لقد قال عنك كنت ذكيا حاد الذهن دقيق الملاحظة ذا عقلية منظمة .

ـــ لم يذكر أنى لم أكن متزمتا بل كان مجلسى مجلس سراب وفرح .

● **لم ننسى أن يذكر أنك اشتهرت بالتواضع والزهد وعدم الاعتزاز بزينة الدنيا وزخرفها . ولعل أهم ما وصفك به يا شيخنا حبك لوطنك حبا منشؤه الاعجاب بماضيه والأمل فى مستقبله .**

ـــ لقد كانت كتبى وأشعارى تفيض بهذا الحب العميق فمصر جديرة بالحب لخصبها وحرها وانها بلد العلم والحكمه ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم وحكمهم وفنونهم .

● **على ذكر اشعارك هل تأذن لنا ان نناقش رأى نقاد جيلنا فيما كتبت من شعر ونثر وخطب بل وكتبك ايضا .**

ـــ بكل سرور .. فباب المناقشه مفتوح على مصراعيه .

● **بادىء ذى بدء أعلم أنك تؤمن بأن الشعر هبة وأن معرفة قوانين النظم لا تكفى لقرض الشعر بل لابد أن تكون الشاعرية**

سجبه والنظم سلبفة وطبيعة والا كان نفسه باردا وشعره غير مقبول .

ـــ كما أذكرك بأن السعر لم يكن من بين ما أعتز به من المواهب ولا ما أفخر به عند تعداد المفاخر ولا مما أقف جهدى عليه وانما هى نفثات يفيض بها قلمى عندما يمتلىء بها صدرى . ومع ذلك هل لى أن أعرف ماذا كتب نقاد جيلكم عنى ؟

● قالوا انك لم تؤلف كتابا مستقلا فى البلاغة ، وفى كتابك مناهج الألباب كان غرضك الأساسى فيه هو الحديث عن المنافع العموميه التى تعود على الوطن بالغنى والثراء ولكنك قد استطردت فى أثناء كلامك عن ذلك الى موضوعات شتى منها الخلقى ومنها الاجتماعى ومنها التربوى ومنها السياسى ومنها التاريخى وقد أدى ذلك الى تشويه وحدة الكتاب وجعلت الوصول الى الغرض منه تحتاج الى الأناة والترتيب فقد لفت هذه الاستطرادات الموضوع نوع من الغموض . لقد قال النقاد أيضا أن الكثير من الأراء فى كتبك ترويه عن غيرك وتصدق عليها واسلوبك هذا مألوف فى عصرك ولكن ان اتباعك لهذا الأسلوب قد فوت علينا الكثير فى تبين وحده التفكير عندك واستخلاص الصورة المتكاملة لطريقة تفكيرك ولما كنت تؤمن به . أما عن خطبك فقد قالوا أن كل خطبك مدرسيه كنت تكتبها بمناسبة الامتحانات وحفلات افتتاح المدارس وقد كان ينقصها التدفق والحرارة والانطلاق . لقد قال البعض بالرغم من مقدرتك على التعريب فان بعض عباراتك ركيكه كما أن بعضهم بضع تحفظا بخصوص رأيك فى اللغة العامية الدارجة .. فأنت ترى انه لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها وأصول على حسب الامكان تربطها ليتعارفها أهل الأقاليم حيث نفعهم بالنسبة اليهم عميم وتصنف فيها كتب المنافع

العمومية والمصالح البلدية . لقد قال بعض النقاد أنك لم تستطع أن تتخلص من ذوق أهل عصرك فنراك عندما تحتفل بعرض افكارك فى عبارة نثرية تلتزم فيها جانب السجع وعندما تقف معجبا بأبيات الشعر فهى تلك التى تاخذ بنصيب من المحسنات والزخارف . كما أن شعرك تنقصه حرارة العاطفة وقوة الأساليب كما كان شعرك أكثره مديح فى محمد على وأسرته حتى قيل أن شعرك هذا كان أكثر تكلفا فانك لا تشعر فيه بروعة ولا يهزك عند قراءته جمال فهو متكلف يراد به الوصول الى تاريخ .. حقا لقد قلت الشعر فى المدح والحماسة والوطنية والوصف والشكوى والتوسل بالرسول غير أن حظك من الروعة قليل فليس فى شعرك تلك القوة الآسرة ، كما أن مجال الخيال فيه ضيق . وان كان أسلوبك لم يرتفع الى مستوى الشعر السامي فى الجزالة فهو لم ينحط الى أن يكون تلاعبا باللفظ ولا يعنى شيئا بقول . ولم ينكر عليك النقاد أنك كنت أول من نظم فى الشعر العربى الأناشيد الوطنية مما يسمح لنا بأن نقرر أنك قد أدخلت تجديدا فى الشعر العربى الحديث . لقد لقبك الكثير من النقاد بأبى الفكر السياسى والاجتماعى المصرى الحديث فقد بذرت بذور الفكرة الديموقراطية ودعوت الى تدخل الدولة لتحقيق العدالة الاجتماعية وكتبت عن الوطنية المصرية ودعوت المصريين الى الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وحرضت على التعرف على الحضارة الأوروبية الجديدة والاستفادة منها . وأنت الذى انتقدت الأوهام والبدع الفاسدة . لقد قدمت نظرة وطنية ترتكز الى التراث دون تعصب والأخذ من الخارج دون تبعية ووضعت الأساس لمنهج العلاقة بين التراث والمعاصرة . . هذا يا شيخنا رفاعة بك ما قاله نقاد جيلنا .

— وماذا قال عنى تلاميذى وأصدقائى بعد وفاتى ؟

● لقد ترجم لك تلميذك السيد صالح مجدى بك فكتب

عنك ((الأديب الأريب العلامة الثبت الثقة الحجة فى كل علم وفن ..)) وترجم لك على مبارك فى كتابه الخطط الجديده وقال عنك ((أنه ما كان يفتر عن الاستغال بالترجمه والتأليف وكانت مجامع الامتحانات لا تزهو الا به)) .. لقد ترجم لك لوس سيخو اليسوعى فى كتابه أنك سبقت أهل وطنك بتعريب التاليف الغربيه. وقال عنك السكندرى وزميله فى كتاب الوسيط ((هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم شيخ الترجمه وامام النهضه)) . وقال عنك الأمير عمر طوسون فى ترجمته ((هو أحد أركان النهضة العلميه العربيه بل امامها فى مصر)) وتضيق الصفحات اذا ذكرنا ترجمات حسن السندوبى ومحمد الصادق حسين بك وخير الدين الزركلى وعبد الرحمن الرافعى واحمد عزت عبد الكريم والدكتور ابراهيم عبده وغيرهم .

— من كتب عنى من الأجانب أم باسوبى ؟

● لقد قال عنك ((كارا دى فو)) ((أنه برغم تدين هذا الكاتب العبقرى وعقيدته فهم فلاسفه فرنسا فى القرن الثامن عشر وتأثر بآراء العقليين تأثرا ربما كان أكثر مما ينبغى)) . وكذلك ما قاله ((كلمنت ابوارت)) عنك ((أما مؤلفاتك الابتكاريه فكتاب رحلته واقامته فى فرنسا ومنظوماته الحماسية والوطنيه المصريه)) . فاذا أضفنا ما كتبه عنك ((موريس شيمول)) فى دائره المعارف الاسلاميه حيث قال : ((كان رفاعة أحد كبار كتاب العربيه فى القرن التاسع عشر وقد ارتبط اسمه بالنهضة القيمة فى الحركه الأدبيه والعلميه الشرق الحديث وبنفسيته البحاثة وذكائه النادر خلف لنا عملا جديرا بالتقدير يعالج مختلف النواحى)) كما قال أيضا : ((بفضل أعمالك ونشاطك فتحت أبواب الشرق للأفكار الحديثة ونهذب العقول لمعاصريك وايقاظ حماستهم الراقدة ... الخ)) . هذا قليل من كثير كتب عنك بعد وفاتك .

— فى ٢٧ مايو ١٨٧٣ عن خمسه وسبعين عاما قضيتهـا فى جهد طويل مثمر عشتها صحيح البنيه قوى الأعصاب معتدل المزاج حتى آخر أيامى .

● لقد ودعتك مصر وداعا حافلا جديرا برجل عاش طول حياته لخدمتها والعمل على النهوض بها . لقد نعتك الوقائع المصريه مسجله هـذا الوداع الحافل فقالت : ((... رجل ارتفعت شهرته الطباق وملأت شهرته الآفاق المرحوم رفاعه بك افندى الغنى عن الاطناب بماله من جليل النعوت وجميل الألقاب ... ثم ستشييع جنازته من منزله الذى بطريق شبرا ممن لم يدعوا لمـار فى الطريق فترا أو شبرا من حضرات العلمـاء الأفاضـل ورجال المدارس الأوائل والأمراء الفخـام والأعيـان الكرام وحسبه سعى حضره مولانا شيخ الجـامع الأزهر مفتى الديار المصريه المشكور هو ومن تبعه من أكابر العلماء ولحضرة الجناب المبجل (سعاد بلو) مستشـار المدارس والأوقاف والاشغال ... الخ)) . لقد رثاك محمد عثمان أحد تلاميذك بمدرسة الألسن بقصيدة نشرتها الوقائع المصريـه فى عدد نعيك .. ورثاك تلميذك صالح مجدى بك بقصائد . أما مجله روضة المدارس فقد نقل ولدك فيها نعى الوقـائع لك . لقد أرسل السيد محمد طاهر ومحمد صالح الدمشقى رسـائل تعزيه لولدك على فهمى ونشرهما فى مجلة روضه المدارس .. ولولا ضيق المكان لنشرت محتوياتها ... لقد لمسنا من هـذه المراثى ما تكنه لك الجميع من التقدير لعلمك ومؤلفاتك وعما كان لك من قدر فى العالم العربى وما خلفته من ذكرى حية بين الناطقين بالضاد .

— لقد كرمتنى فرنسا بوضـع تماثيل لى كما أحب ذكراى بعض المحـافل الأدبيه هناك .

● وفى مصر اقـام المجلس الأعلى للفنون والآداب والعـلوم

الاجماعيه مهرجانا حافلا فى ويسمبر ١٩٥٨ بدأ بمدينــه طهطـا مسقط رأسك ثم انتقل الى القاهره حيث القيت دراسات بقاعــه نقابه الصحفيين عن حياتك وأعمالك المجيدة . لقد اطلق اســمك على مكتبه جديده بسوهاج وافتتحت فى عيد المحافظه القومى .. لقد خلدك كوكبه من ألمع أدباء العصر وأساتذه الجامعــات والمهتمين بالثقافه والأدب والتعليم فى مصر والعالم .. لقد تناولتك الأقلام بالحب والتقدير والنقد . فتناولت الدكتورة سهير القلماوى المراه فى مؤلفاتك .. وتناولك شيخا أزهريا الدكتور محمد عبد الله ماضى وتنــاولك صحفيا الدكتور عبد اللطيف حمزه وتنــاولك مؤلفــا الأستاذ عبد المنعم عامر وتناولك مترجما الدكتور جمــال الدين الشيال وتناولك مربيا الدكتور احمد عزت عبد الكريم وتناولك فى مدرسه الألسن فريد عبد الرحمن .. وتناولك فى باريس الدكتور أنور لوقا .. وتناول جهودك فى تجديد اللغــه والفــكر والأدب الأستاذ أحمد خلف الله أحمــد وتناولك الدكتور مهــدى عــلام باعتبارك أول رائد للنهضة الفكرية .. هذا بخلاف مئات المقالات فى كافه المجلات الثقافيه والأدبية والتربويه بالبلاد العربيه .

ـــ نقصد ما كتبه الدكتور على الدين هلال فى دراســه « رفاعه رافع الطهطاوى رائد الفكر الاجتمــاعى ... والدكتور محمد محمود الدس فى مقاله « رفاعة الطهطاوى أول صيحه فى تعليم المراه العربيه وتحريرها » .. والأديب المبدع لمعى المطيعى فى « هذا الرجل من مصر » .

● بل يجب أن نذكر بكل فخر واعتزاز ذلك الكتاب الممتع المستفيض الذى قدمه للمكتبة العربية الدكتور احمد أحمد بدوى وعنوانه « رفاعه الطهطاوى بك » فهو كتاب يعتبر مرجعا هاما لكل من يريد أن يعرف عنك شيئا من مولدك حتى وفاتك ... ولمــاذا

نذهب بعيدا يا شيخنا الوقور وأديبنا المبدع والمربى العالم والصحفى الوطنى .. أليس هذا الحوار المطول الذى غصنا به فى أعماقك يا رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر كفيل بأن يقدمك لشباب جيلنا وأدباء عصرنا والمهتمين بالتعليم والباحثين عن التجديد والمدركين لقيمة الرحلات المفيدة ... يا أستاذنا الأزهرى المتفتح .

رفاعة بك رافع الطهطاوى

● جريدة « أخبار دمياط »

العدد ١٥٤٠ بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٥ ، ١٥٤١ بتاريخ ١٩٨٧/٦/٨ ، ١٥٤٣ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٦ ، ١٥٤٥ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٧ ، ١٥٤٦ بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧ ، ١٥٤٧ بتاريخ ١٩٨٧/٨/٣١ ، ١٥٤٨ بتاريخ ١٩٨٧/٩/١٤ ، ١٥٤٩ بتاريخ ١٩٨٧/٩/٢٨ ، ١٥٥٠ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/١٢ ، ١٥٥١ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٢٦ .

البارون فـان

هل كان سعيدا محظوظا بعمله سكرتيرا خاصا لنابليون بونابرت ؟

عندما نستمع أن ((زيدا)) من الناس قد أختير سكرتيرا خاصا للملك أو امبراطور أو رئيس جمهورية.. يقف منا البعض مبهورا والبعض حاسدا لأن هذا سوف يكون يوما مرموقا .. يعلم الكثير من بواطن الأمور بحكم وظيفته .. بحكم قربه من جلالته أو فخامته .. تحلق حوله الصحافة كالفراشة وتفسح له كتب التاريخ مكانا حتى لو كانت خدمته هذه لساعات أو أيام أو لسنين طويلة من هؤلاء ذلك السكرتير الذى كشف لنا عن الجوانب الخفية فى شخصية نابليون تعالوا بنا نتعرف على صاحب المذكرات التاريخية التى مدت المؤرخين بتفاصيل شائقة ..



● **بارون فان .. أنت احد اربعة ذكرهم التاريخ تعاقبوا على خدمة نابليون .. أنت وبوريين ومنيفال وكلود سيمار .**

— لقد ذكرت كلود سيمار مع انه لم يعمل سكرتيرا لنابليون اكثر من نصف ساعة .

● **حقا .. وكيف ذلك ؟**

— كان كلود شابا درس القانون ولكنه لم يشأ أن يمتهن المحاماة ، وسعى الى أن عين كاتبا ملحقا بمكتب وزير الحربية فى باريس .. لقد كان العمل مرهقا يقتضيه اثنتى عشر ساعة فى اليوم حتى كان يتناول الغداء والعشاء فى الديوان .

● **اعتقد أن هذا كان سببه ان الماريشال (بريتيه) وزير الحربية كان يضرب المثل بنفسه لمرءوسيه . فيصل ساعات النهار بساعات الليل فى الاشراف على اعداد قوائم التجنيد وتوزيع القيادات وتوفير وسائل النقل والتموين لا تأخذه فى ذلك رحمة بنفسه ولا بمعاونيه .**

— لهذا تمنى الذين يعملون معه لو أتيح لهم الانتقال من

وزاره الحربيه الى أخرى يسمح طبيعه العمل فيها بفترات استراحه وترويح عن النفوس . لذلك كان فرح (كلود) عظيمـا يوم استدعاه الوزير مع رفاقه وعقد لهم امتحانا في سرعة الكتابه مع جوده الخط وضبط قواعد النحو والأملاء وكان ترتيبه الأول . وأفضى الوزير اليه بأن جلالة الامبراطور نابليون قد كلفه باختياره سكرتيرا خاصا له بعد أن عرض عليه نسخه الامتحان .

● **وبالطبع كان كلود سعيدا بهذا الاختيار الذي أباحتـه له الاقـدار .**

— وأيه سعاده ... فما كاد الوزير يهنئه باختياره حتى طلب اليه ان يعجـل بالذهـاب الى قصر التويلري حيث ينتظره الامبراطور . وودع كلود رفاقه الذين جلسوا يتحدثون عن صاحبهم المحظوظ .. يتخيلونه وهو يختـار ردهات القصر . ثم وهو يدخل بخطواته المترددة باب الامبراطور ليقلد منصبه الجديد .. وحمج بهم الفكر وكثرت التعليقات .

● **من المؤكد أن حديثهم هذا كان يغلفه الحسد والغيره .**

— مهلا يا عزيزى .. بينما كان أصدقاء كلود يشغلهم عن عملهم الخوض في سيره صديقهم واذ الباب يفتح ويدخـل كلود مطأطىء الرأس ويسـير الى مكتبه بخطوات متعثره ويجلس على كرسيه مهموما شاحب الوجه مقلوب السحنه ، زائغ البصر . منقطع الأنفاس فأقبلوا عليه يسألونه ما خطبه وماذا دهاه .

● **لقد شوقتني لمعرفـه ما قاله لهم .**

— بعد أن قدم كلود نفسه لرئيس الديوان استأذنه في الدخول على الامبراطور ، ولما أذن له دخل على نابليون في حجره

مكتبه ، فالقاه يسير بخطوات سريعة وقد جعل يديه وراء ظهره ، وأمال راسه على صـــدره ، شان من يفكر فى أمر خطير . واذ أغلق الشاب الباب وراءه ، وحنى رأســه بالتحية تلقاه الامبراطور بنظرة فاحصـــة شملته من ذروة الرأس الى اخمص القدم وقال : « هذا انت .. لقد أبطأت .. اجلس هناك » . واشار بيده الى مكتب صغير قائم فى احدى زوايا الحجرة بين نافذتين كبيرتين . جلس الشاب امام المكتب ومد يده وتناول ورقا وقلمــا ولبث ينتظر . اما الامبراطور فقد ابتعد عنه ليستأنف سيره ذهابا وجيئة فى الحجرة الواســعة وكأنما نسى وجود السكرتير الجديد بالقرب منه . فأخذ يجمجم بعبارات يصحبها باشارات من يده ثم يعقبها بكلمات متقطعة تتلوها جمل سريعة وتتخللها زمجرات ودمدمات يدغمها فى بعضها فتجيء غير مفهومة ولا يعلم سامعها أهى شتائم يصبها على شخص مجهول أم ايمان يقسمها على شيء غير معلوم .

● ماذا كان موقف كلود مما اتاه الامبراطور من افعال ؟

ـــ لقد لبث كلود يرقب هـــذه الحالة فترة طويلة ويتعجب من هـــذا الامبراطور العظيم الذى يحدث نفسه كالمجانين ثم انتهى به الأمر الى أن ظن أن نابليون مشـــغول البال مهتـــاج الخـــاطر أو متوعك المزاج . ورأى أن الأدب واللياقة يقتضيانه التظاهر بعدم سماع ما يقول فحنى رأسه على أوراقه وظل ينتظر أن يوجه اليه الامبراطور الكلام أو يملى عليه رسالة يكتبها . وطالت نزهة نابليون فى الغرفة وهو لا ينفك يتمتم حينا ويجمجم حينا آخر ثم حانت منه التفاتة الى كلود فأقبل عليه ووقف الى جانب مكتبه وأحس السكرتير أن عينى الجبار مسلطتان عليه فجعل ينكمش ويتضاءل ويدخل عنقه فى كتفيه ويشد بأصابعه على القلم لكى لا يقع من يده المرتجفة الى أن قال نابليون : « اقرأ على ما كتبت » فرفع الشاب عينيه الزائغتين وأجاب مرتبكا : « ماذا أقرأ يا مولاى » . فقال نابليون :

اقرأ ما أملسه عليك . ورد كلود : « ولكن جلالتكم لم تمل على شيئا يا مولاى » . ونظر اليه نابليون غاضبا وقال « كيف لم امل عليك شيئا أيها الغبى ؟ .. اذن ماذا كنت تفعل طوال هـذا الوقت » . وصاح نابليون صيحة غضب زلزلت الجدران وامتدت يده على قفا كلود واقتلعه من كرسيه واقتاده الى الباب ودفعه الى الدهليز دفعة قوية .

● مسكين كلود .

— وأيه مسكين هو . ما كاد نابليون يدخل الغرفة ويغلق الباب وراءه حتى هرول كلود الى فناء القصر وظل يعدو كالمذعور حتى قطع المسافة بين قصر التويلرى وسراى وزارة الحربية تحت المطر الشديد عارى الرأس بلا معطف حتى قادته قدماه الى مكتبه ليفر من وجه الخطر ويحتمى بين الزملاء .

● مما لاشك فيه أن هذه الحادثة قد أثرت عليه نفسيا .

— لقد أثرت على اعصابه فمرض ولزم الفراش سبعة ايام لم يكن يسمع فى منامه الا الصيحة التى أذهلته ، ولا يرى فى صحوته الا اليد القوية التى دفعت به الى الدهليز . لقد عاش بعد موت نابليون أكثر من ثلاثين سنة لم يحاول فيها أن يجتاز حديقة التويلرى ، بل لم تقع عيناه مرة على قباب القصر من بعيد الا احس برعشة تسرى فى جسده وتذكره بذلك اليوم المشئوم .

● حقا يا له من يوم مشهود ويا لها من ذكريات .

— الذكريات كثيرة ومتنوعة ليس فقط عند كلود سيمار لكن أيضا عند الآخرين بوريين ومينفال .

● مهما كان عندهما من ذكريات فأعتقد ان لديك من المواقف والذكريات الكثير والكثير يا بارون فان فنحن لا ننسى مذكراتك التاريخية القيمة خاصة وانك عاصرت كل الحوادث وعرفت جميع الرجال الذين لعبوا دورا فيها . ووقفت على معظم الأسرار حتى انه يقال عن مذكراتك انهـا تمد المؤرخ بذخيرة حيـة وافرة من التفاصيل الشائقة كما انها متعة عقلية لكل قارىء .

— آه يا عزيزى تحـاول بذكائك أن أستعيد ذكرياتى مع نابليون ان مهمتى يمكن أن أجملها فى جملة واحدة « مهمة شـاقة عسيرة ، وسلسلة جهود عنيفـة مضنية تقصر العمر أو تورث الجنون » .

● انك تثير فضولى .. ارجوك ان تعطينا الصـورة الحقيقية الصادقة لوظيفتك كسكرتير خاص لنابليون لعلنا نستشف منهـا بعض الجوانب الخافية فى شخصية ذلك الرجل العظيم .

— أدرك يا عزيزى قيمة الوقت عندك .. لذلك سـوف احاول أن أكون موضـوعيا صادقا .. فمثلا كنت أدخل حجرة مكتب الامبراطور عند مطلع الفجر وأجلس امام مكتب صغير ، موليا نابليون ظهرى ، فلا أراه وانما اسمع وقع أقدامه وهو يذرع الغرفة بخطواته السريعة .. أسمع دمدمته وصـوت الأوراق التى يمزقها وينثرها فتتطاير حوله ذات اليمين وذات الشمال . وكان الامبراطور يباشر عمله اليومى عند الساعـة السابعة من الصـباح فاستقبله واقفا ثم أجلس دون أن أتكلم وأتناول القلم والورق وانتظر حتى يقول لى نابليون « اكتب » وعندئذ ابدأ العمل المرهق الشاق الذى لا يتصوره عقل .

● تكاد توهمنى باهمية السكرتير الخاص للامبراطور .

— ارجو الا تكون عجولا فى حكمك .. فقد كان الامبراطور

وهو يملي رسائله أسمه الناس يتحدث الى نفسه ، حديثا سريع الألفاظ منقطع العبارات ، أما سرعته فى الأملاء فكانت تحتم يسجل على أسرع الكاتب أن يلاحقه فيها ، وأما النطق وكان مزيجا من همهمه ودمدمة وصيحات لا يمر المنصت منها شيئا الا اذا طال تمرنه عليها . وكان الامبراطور يوقف عن الأملاء هنيهة ليمزق بعض الأوراق ويبعثرها فى أرض الحجرة أو ليصب بعض اللعنات على شخص مجهول ثم يستأنف املاءه العجيب مؤيدا عباراته باشارات من يده أو بضربات من قبضته على المكتب .

● انك تذهلني بما تقول .. بالله كيف كنت تلاحق بالكتابة سرعة الامبراطور فى الكلام خاصة — كما تقول — انه كان يملك وهو يقطع الغرفة ذهابا وجيئة .

— كان كل فني ينحصر فى أن اترك على الورق مساحات بيضاء بين الجمل لأجتهد بعد ذلك فى أن أملأها بما علق فى ذاكرتي من الأملاء ولكن الصعوبة كانت فى استذكار الأرقام واسماء الاعلام والمصطلحات الفنية التي كنت أدونها بسرعة على هامش الورق لأضعها فى أماكنها بعد ذلك . وكثيرا ما كانت الاسماء تختلط فى ذهن الامبراطور فيخطيء اذ يضع الواحد بدلا من الآخر ، فيملي سمولنك بدلا من سلمنقة ونهر الأسر بدلا من الألب وباجادوس بدلا من جيدوفسكي وهكذا .. وكان على أن أدرك هذه الأخطاء وأصححها بنفسي ودون الرجوع الى نابليون فى أمرها والا قالوا لي اذا أنا لم أفعل .

● ماذا عن المساحات البيض التى كنت تتركها بين الجمل ؟

— متى توقف الامبراطور عن الاملاء لعثرة طالت أو قصرت

عمدت الى المسافات البيضاء التى تركتها فأملأها بما تسعفنى به الذاكرة وما يوحيه الى سياق الكلام ثم أعود فأبيض تلك المسودات التى ما هى الا خطوط بعضها مستفهم وبعضها متعرج يكاد الناظر اليها لا يبين منها كلمة أو حرفا .

● **وماذا عن الامبراطور نابليون نفسه ؟**

— يعود الى العمل فيلقى مرة ورقة على مكتبى مصحوبة بكلمـة (للتنفيذ) أو بأخرى مصحوبة بكلمة (يهمل) ثم يلقى على البساط بعض الأوراق التى لا يصـدر بشأنها تعليمات ثم ينهض الامبراطور فيسند ظهره الى المدفأة ويشرع يفتح البريد فتتطـاير الظروف فى انحـاء الغرفه ويتبعها الرسائل نفسها ويمزح بالأوراق الممزقة ويكون اكداسا فوق البساط فاذا خرج نابليون هرعت اليها فجمعتها ورتبتها وحاولت أن أفهم ما ينبغى تصريفها فيه . ثم يعود الامبراطور ويقول اكتب فيبدأ عملية الكتابة من جديد .

● **على فكرة .. لقد قيل ان مهمتك كسكرتير يا بارون فان كانت تزداد تعقدا عندما كان يحضر (فوشيه) وزير البوليس حاملا ملفاته ليعرض تقاريره اليومية على نابليون .. فهل هـذا صحيح ؟**

— بالطبع صحيح فما يكاد يدخل (فوشيه) حاملا ملفاته حتى يجلس بجوار المكتب ويبدأ بتلاوة تقاريره وكلها متعلقة بمؤامرات تدبر لاغتيال نابليون وثورة الملكيين فى مقاطعتى بريطـانيا والفاندية وزعماء الثوار المنتشرين خفية فى أرجاء باريس . ويصغى نابليون الى كل هـذا ، ويناقشه جملة وتفصيلا . ولكن الاصغاء والمناقشـة لا يحولان دون استمرار الامبراطور فى املاء رسائله على ، واملاء تعليماته وأوامره على الوزير فيختلط علينا الكلام ويتعسر على كل

منا أن يعرف ما هو موجه اليه [illegible] . ليس هذا فقط بل بينما كان الامبراطور يملي كان [illegible] يمد يده الى أوراق فوق المكتب فيقلبها بأصابعه [illegible] ويهز رأسه ويقول « لا .. لا هذه اثمان مبالغ فيها .. ان هذا الرجل يسرقنا » وينظر الوزير (فوسيه) [illegible] الأوراق التي بين يدي الامبراطور يحوي فواتير ومطالب من بعض التجار الذين يوردون للامبراطور ثيابه وأحذيته وللامبراطورة ثيابها وعطورها .

(٢) [illegible] والامبراطور واقف ينكوا لا يسمع [illegible] أن يقطع عليه تفكيره باستعادة كلمة لم يسمعها أو [illegible] وهو [illegible] أشياء من [illegible] الاشارة الى احدكما بأن الكلام موجه اليه [illegible] عن الأوراق التي في يده حتى يدرك [illegible] أو [illegible] ان هذه العبارة أو تلك [illegible] بينما تتخلل تلك العبارات تعليقات على موضوعات أخرى لا علاقة لها البتة بما أنتما منهمكان فيه .

— على أياما لم تكن أجهزة التسجيل قد اخترعت بعد .. ولو تخيلنا ماذا كان يمكن أن يسجل من حديث للامبراطور في هذه الجلسة .. أو رتبنا كلامه وكتبناه على علاته وكما صدر منه حينذاك لوجدنا العجب العجاب فمثلا يقول الامبراطور .. يمكن أن أوجه نظر سموكم الكبير الى أن الحامية المشيعة بروح العطف والتأييد التي تلقاها المهاجرون الفرنسيون من حكومة لندرة ... هذه المرأة جاوز اسرافها كل حد معقول ... ترسل تجريدة قوية لتعزيز حامية الفاندية ولحراسة شواطيء بريطانيا فقد انتهى الى ان الكونت (دارتواه) يزمع ... قيمة بالاثنين وستين فرنكا ... النزول الى الشاطيء مع شرذمة من المهاجرين ... وهو معذور

فى وضع هذه الأثمان لأنه لا يجد من يحاسبه ... يحسن ترك هذا الرجل حرا ورصد العيون حوله لمعرفه الذين ... قلب نظام الحكم واغتيال حياتى ... تدبير طريقه لمنع اولئك التجار من الوصول الى القصر فجورفين لا نرفض لهم شيئا ولا نردهم خائبين .

● **أعتقد أنه لابد من وجود قدرات خاصة .. فعلى الوزير (فوشيه) أن نبين ما يخصه فيهم بأمر التجريده والقبض على الكونت داراواه سقيف الملك السابق .. وعليك أنت يا بارون فان أن تلعب لعقد الوصى على العرش فى انجلترا الى مسأله تشجيع المهاجرين والمجرمين وعلى كلاكما أن تفعلا ثمن القبعة واسراف الامبراطوره جوزفين أليس كذلك .**

— هذا صحيح .

● **بارون فان .. هل يمكنك أن تعطينا صوره عن عمل سكرتير نابليون فى فترات حروبه العديده .. أم كانت هذه الفترات بمثابة راحه لك أو لأى سكرتير آخر عمل معه .**

— ما كانت خيمه الامبراطور تنصب فى ميدان القتال حتى تخصص جزء منها لمكتب السكرتير وما كانت أضواء القمر تشع على الكون حتى تكون العمل مهيأ والأوراق مجهزه والمكتبات مرتبه . واجلس أمام المكتب مستعدا للحركه عند أول اشاره فما يكاد ضوء النهار ينفذ من الخيمة حتى ينهض الامبراطور ويتناول الملفات والأوراق فيفضها بسرعة ويقرأ ويعرف ويوقع ويطوح وهو يقول لى : أرسل هذا .. هذا للحفظ .. وهذا مستعجل .. وهذا للعرض فى الوقت المناسب . وأنهض لأجمع من فوق بساط الخيمه الملفات المبعثرة . وما أكاد أجلس لأجمع

شتاتها وارتب محتوياتها حتى أفاجىء بالامبراطور يقول . اكتب فأتناول الورق والقلم واكتب .

● **هل كان لديكم مواعيد عمل منتظمه ومواعيد راحـه منتظمـة ؟**

ـــ كان العمل يمتد أحيانا الى منتصف الليل وأحيانا الى الهزيع الأخير منه حتى انني كنت أحيانا أجهد نفسي في المحافظه على توازني لكي لا أقع على الأرض من فرط التعب وتحت سلطان النوم .

● **لعل وسائل الراحه فى خيمة الامبراطور كانت تخفف عن كاهلك التعب احيانا .**

ـــ خيمه الامبراطور المريحه ـ كما تتوهم ـ كانت تنصب اسما حل وبسرعه لا يتمكن معها ناصبوها من تمهيـد الأرض وتسويتها ولا من كنسها وتنظيفهـا وكانت مكونه من قسمين احداهما توضـع فيها سرير صغير ينام عليـه نابليون والأخرى تنصب فيها مكتبه ومكتب السكرتير الذى لم يكن فى الحقيقـه الا منضده صغيره وبجانبها خشبه صغيره اجلس عليها انا .

● **بعد ان استمعنا اليك يا عزيزى (البارون فان) عن هذه اللمحه الخاطفـه عن حياتك كسكرتير خـاص للامبراطور نابليون بما فيها من اجهاد .**

ـــ اجهاد مضنى من فضلك .. اجهاد كان يصل بى بعض الأحيان الى حد يجعلنى اكتب ورأسي سريح مغمض العينين .. ولقد حدث ذات ليلة وكان ذلك أثر الانتهاء من احدى المعـارك

الحربية أن طال بى السهر وثقل على عبء العمل حتى عجزت يدى عن الكتابة فانتهزت فرصة دخول الامبراطور الى مخدعه فارتميت على الأرض ورجعت متسللا تحت قماش الخيمة ومن بين حبالها فلما صرت خارجها فى العراء صادفت شيئا لينا ظننته ربطة من الحشايا أو كومة من الثياب فتوسدتها غير قادر على تعرف حقيقتها ونمت .. ولشد ما كانت دهشتى عندما إفقت من نومى فاذا تلك الوسادة جثة جندى مقتول .

● كفاك بربك .. ولا تذكرنا بمآسى الحروب .. وشكرا لك أيها البارون فان فقد أسعدتنا باماطة اللثام عن بعض الجوانب الخفية فى شخصية نابليون بونابرت عن غير قصد منك وانت تشرح لنا مهمتك الشاقة العسيرة كسكرتير خاص له . واسمح لى أن أقول لعل حديثك هذا معى .. هو من أجمل وامتع ما ورد فى مذكراتك التاريخية القيمة التى تمد المؤرخ بكثرة من التفاصيل الشائقة .. وكيف لا وهى مذكرات

البارون فان

● اذاعة لندن ١٩٧٨/٨/١١ .



الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ٤٥٩٨ / ١٩٨٩

الترقيم الدولى ٦ ـ ٢١٧٤ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب



● شخصيات هذا الكتاب

روبنز ــ جول ڤيرن ــ اليزابيث بالاكول ــ فكتور هوجو ــ بتهوفن ــ مارى كورى ــ البارون ڤان ــ رفاعة الطهطاوى

قدمها لنا « الكاتب مجدى سلامة » فى حوار خيالى ممتع ، وأسلوب سهل شيق ، ودراسة متعمقة متانية

لقد تناقلت الأجيال ، عبر القرون حياتهم ، وروائع أعمالهم ، بكل لغات العالم ، تقديراً لفضلهم ، وعرفاناً بعبقريتهم ، فى مجال الأدب والفن والموسيقى والطب الخ

إن كتاب « عمالقة ورواد » سوف يشدك إليه فى متعة ، مثيراً فضولك قارئاً أو دارساً شغوفاً بالبحث ، أو محباً للتسلح بالمعرفة الجادة ، أو للتزود بالمعلومة المفيدة ، لهذه الشخصيات وخباياها ! ! !

١٩٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب